جامعة الشهيد حمّه لخضر – الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

السّر آدابه وأحكامه في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية – تخصص: علوم القرآن والتفسير

الطالبة:

إيمان غريسي

إشراف:

أ. محمد الصالح غريسي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
العيد حذيق	دكتور	جامعة حمّه لخضر –الوادي	رئيساً
محمد الصالح غريسي	أستاذ	جامعة حمّه لخضر –الوادي	مشرفاً ومقرراً
محمد عمارة	أستاذ	جامعة حمّه لخضر –الوادي	مناقشاً

السنة الجامعية: 1438–1439 هـ/ 2017–2018 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــــــــــــداء

إلى قرّة عيني وضياء طريقي، إلى جنتي ونعيمي، إلى نبع الحنان وهدية الرحمان، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي، إلى من كانت ولا زالت أغلى وأعز ما ملكت في هذه الحياة، إلى **"أمي الحبـــــــــــــــيبة"** .

إلى من أحمل اسمه بكل إفتخار إلى **"والدي العزيـــــــــز"** .

إلى التي لم تقرأ ولن تقرأ حرفاً من رسالتي، إلى **"روح جدتي الغاليـــــــــــــــــة"** .

"إلى جدي وجدتي حفظهما الله ورعاهما وأطال عمرهما"

تاج رأسي ومصدر فخري وعزتي إلى أخوتي **"خالد ، ابراهيم، ربيع ،جعفر"**

إلى شعلة الذكاء ونور الوجه المفعم بالبراءة وبمحبتكم أزهرت أيامي وتفتحت براعم للغد أخواتي **"عائشة، كوثر"**

إلى كل الأصدقاء، إلى كل من أحبهم وأعزهم وأعتبرهم بمثابة إخوة لي .

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات . . .إلى من سأفتقدهم . . .ويفتقدوني .

إلى من أتمنى أن تبقى صورتهم . . . . . في عيوني .

إيمان

الشكر والعرفان

امتثالا لقول الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

أحمد الله ﷻ على نعمه وأشكره جزيل الشكر على منّه وفضله وتوفيقه لإنجاز هذا البحث.

وعملا بوصية رسول الله ﷺ: «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**» رواه الترمذي.

أتقدم بجزيل الشكر

لأسرتي الكريمة الشفاء والدواء لقلبي والراحة الهنيئة لكل أتعابي أخصّ بالشكر الجزيل والديَّ الكريمين هدية الله وجوهرته في الدنيا

وكل الشكر والامتنان لأستاذي الفاضل الذي قام بالإشراف على هذه الرسالة السيد: "محمد الصالح غريسي "حفظه الله على جهوده وصبره ونصحه وإرشاده لي بكل إخلاص وأمانة، وعلى عونه ومساعدته لي.

كما أتقدم بالشكر أيضا لأساتذتي الفضلاء الذين قاموا على تدريسي طوال دارستي الجامعية، وكل أساتذة معهد العلوم الإسلامية.

والشكر موصول لكل من ساعدني من قريب أو بعيد.

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الرسل نبينا محمد وآله وأصحابه.

يعالج هذا الموضوع الموسوم بـ:"السّر آدابه وأحكامه في القرآن الكريم (دراسة موضوعية) دراسة مصطلح السرّ في القرآن الكريم دراسة موضوعية، وتتبع ألفاظه ومعانيه وسياقاته، ففي ما تمثلت الأحكام والآداب المستنبطة من آيات السّر؟ وللإجابة عن هذا السؤال بيّنت معنى السّر وأهم اشتقاقته وتصريفاته ثمّ استخرجت المفردات القريبة المعنى من السرّ و الوجوه والنظائر للفظة، وتركزت دراسة هذا الموضوع في تحديد سياقات اللفظة في القرآن الكريم والتي ارتكزت على ثلاث سياقات أساسية وهي: الآداب، سياق مخاطبة النبي ﷺ، سياق الأحكام الشرعية، واستخلصت من هذه ا بأنّ آداب السّر في القرآن الكريم متمثلة في آداب المعاشرة الزوجية، آداب كتمان السرّ، آداب التناجي العامة والخاصة، وأن أحكامه تمثلت في: أحكام صدقة السرّ أحكام صدقة المناجاة أحكام خطبة المرأة المعتدة.

Abstract:

Praise be to Allah, the lord of the worlds, peace and blissings be upon ashraf the messengers of our prophet Muhammad and his companions and companions.

This subject is addressed by: "The secret of ethics and its rulings in the Holy Quran (objective study) Study of the term of the sacrament in the Holy Quran An objective study and follow its words, meanings and contexts, in what were the rulings and ethics derived from the secret verses? And its definitions and then extracted the words close to the meaning of the secret and faces And the analogies of the word, and focused on the study of this

subject in determining the context of the word in the Holy Quran, which was based on three basic contexts namely: literature, the context of addressing the Prophet the context of the provisions of legitimacy, and concluded that the ethics of the secret in the Koran represented in the ethics of marital marriage, Confidentiality and public and private etiquette, and that its provisions were as follows: The provisions of the charity of the secret The provisions of the charity of invoking the provisions of the sermon of the oppressed woman.

مقدمة

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا اله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله أمّا بعد:

لقد تعددت أساليب دراسة القرآن الكريم، إلى علوم وتفسير ومن بينها التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الذي ينقسم بدوره إلى أنواع من أهمها التفسير الموضوعي للسورة القرآنية الذي يخصّ السورة القرآنية بحقها ومستحقها من البحث والاستطلاع للخروج منها بدراسة موضوعية متكاملة، والتفسير الموضوعي للمصطلح القرآني القائم على تتبع لفظة قرآنية، فيأتي بمشتقاتها ليستخرج منها الدلالات والسياقات التي جاءت فيها، وهنا تمحور موضوع مذكرتي؛ في دراسة اللفظة القرآنية دراسة موضوعية والذي قررت فيه بعد تخمين طويل ومع الاستفادة من استشارة أستاذي المشرف على المذكرة أن يكون موسوما بـ: السرّ آدابه وأحكامه في القرآن الكريم (دراسة موضوعية).

وقبل الشروع في عرض مضمون المذكرة ولبّ بحثها سأتطرق لبعض النقاط المهمة التي سأوضح فيها مسيرتي في انجازها من لحظة اختياري لعنوان المذكرة إلى غاية اتمامها.

أولا: دوافع اختيار موضوع البحث

1 – نظرا لأهمية الموضوع وما يشتمل عليه السرّ من فوائد وآداب سواء من ناحية المسلم كفرد أو من ناحية المجتمع عامة، تُعلِّم وترشد إلى الفضائل والهدايات المتعلقة من أمانة وحفظ للسرّ وغيرها، أيضا مجموعة الأحكام التربوية منها والشرعية المتعلقة بالسرّ، جميع ذلك كان من دواعي اختياري للسرّ كموضوع دراسة، رغبة في الاستفادة مما يحويه اللفظ من آداب وأخلاق وأحكام، ورغبة في التعمق أكثر فيه.

2– رغبة مني في التعمق في الدراسة الموضوعية للفظة القرآنية، والتعلم والتّمرّس أكثر على طريقة ومنهج سيرورة الدراسة الموضوعية.

3 – المساهمة في إبراز أهمية علم التفسير الموضوعي الذي هو من العلوم القرآنية الحديثة القائمة على التّجدد والاستمرارية، التي ذهبت تجمع وتدرس ما تفرق من الألفاظ القرآنية في خلية تحتضنها الدراسة الموضوعية.

ب – دوافع ذاتية:

1 – خدمة كتاب الله العزيز ولو بقدر يسير منه.

2 – الاستفادة والإفادة من موضوع شرعي حديث لم يدرس من قبل.

3 – إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع جديد.

ثانيا: أهمية موضوع البحث

1 – مصطلح (السّر) غاية في الأهمية وذلك لأنّه يحمل في طياته العديد من المعاني والدلالات الهادفة فيكفي أنّه قد تفرّقت مفرداته القريبة منه والمعاني ذات الصلة به في القرآن الكريم بكثرة ولكلّ منها فوائد وآداب.

2 – للسّر في القرآن الكريم آداب وأخلاق جلّية وأحكام شرعية، أعمل على ابرازها وإخراجها ليعرف مدى تعلقها بلفظة السّر.

3 – أخذ مصطلح السّر الشأن الكبير في كلام العرب أشعارهم وحِكمهم، مايدل على أهمية المادة التي أتناولها.

4 –ورود بعض آيات السّر إضافة إلى آيات الأحكام والآداب الخاصة به في مخاطبة سيد الخلق محمد ﷺ والتي أبرزت جانبا مهمّا من حياته، ومعلوم أنّ مخاطبة القرآن الكريم للنبي ﷺ تكون خاصة به بينما هي عامة في جميع المسلمين، ومن هنا تبرز أهمية هذا اللفظ في أنه اختص بالوقار لورود آيات منه في رسول الله ﷺ ولعموم ما في هذه الآيات من أحكام وآداب وأخلاق فينا.

ثالثا: أهداف موضوع البحث

1 – إبراز الآداب والأخلاق المتعلقة بلفظة السّر في القرآن الكريم والأحكام الشرعية المستنبطة منه.

2 – إبراز الدلالات والمعاني المتعلقة بلفظة السّر في القرآن الكريم.

3 – التعرف على المفردات القريبة الدلالة من لفظة السّر في القرآن الكريم و العمل على إبراز أهم الفروق بينها وبين السّر.

4 – تحديد السياقات التي وردت فيها لفظة السّر في القرآن الكريم.

رابعا: إشكالية موضوع البحث

يعالج هذا البحث مصطلح السِّر في القرآن الكريم، ويقوم على دراسة اللفظة وفق خطوات التفسير الموضوعي عن طريق تتبع دلالاتها وسياقاتها حسب ورودها في القرآن الكريم والتي تحمل في طيّاتها جملة من الأحكام الشرعية والآداب والأخلاق التوجيهية والتربوية، ومن هنا نطرح الإشكال الآتي: فيما تتمثل جملة الأحكام الشرعية والأخلاق والآداب المستنبطة من آيات السر في القرآن الكريم؟ وللإجابة عن هذا السؤال الرئيس للدراسة نطرح بعض التساؤلات: فما هي السياقات التي وردت فيها لفظة السرّ في القرآن الكريم؟ و فيما تمثلت الوجوه والنظائر المتعلقة بمصطلح السرّ في القرآن الكريم؟ وفيما تجلّت أهم المفردات القريبة الدلالة من لفظة السّر؟ وما هي أهم الدلالات والهدايات التي يمكن استنباطها من آيات السرّ في القرآن الكريم؟

خامسا: المنهج المتّبع في موضوع البحث

1 – المنهج الاستقرائي: وذلك عند استقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها السرّ وتتبع اشتقاقات اللفظة وتصريفاتها، وفي تتبع كتب التفسير واللغة أثناء جمع أهم المفردات القريبة من اللفظة.

2 – المنهج الوصفي: في دراسة معاني ودلالات السرّ في القرآن الكريم في عرضها ووصفها في قالب علمي دقيق ممنهج على طريقة خاصة، ثمّ في الجانب العملي المتمثل في تحديد سياقات اللفظ وثم توضيحها وتفسيرها على ضوء الدراسة الموضوعية.

سادسا: الخطوات المنهجية في موضوع البحث

هذا الموضوع في صدد دراسة بحث قائم على الدراسة الموضوعية وبشكل أدق في الدراسة الموضوعية للمصطلح القرآني، والخطوات المنهجية التي اتبعتها في الدراسة هي نفس خطوات التفسير الموضوعي للفظة القرآنية على النحو الآتي:

1 – تعريف المصطلح القرآني لغة واصطلاحا.

2 – استخراج اشتقاقات وتصريفات السرّ في القرآن الكريم.

3 – جمع الألفاظ القريبة الدلالة من السرّ و إبراز الفروق بينها وبين السرّ.

4 – تحديد السياقات التي وردت فيها لفظة السرّ في القرآن الكريم و التي سيتحدد من خلالها الأحكام والآداب المتعلقة بالسرّ.

واتبعت أثناء كتابتي للبحث على نقاط وهي:

1 – عزو الآيات القرآنية في المتن على هذا النحو:[السورة: رقم الآية] والآية جعلتها بين الرمزين الآتيين: ﴿ ﴾ مكتوبة بالرسم العثماني وفق مصحف المدينة الألكتروني.

2 – الأحاديث النبوية في المتن جعلتها مفخمة حتى يتميز كلام النبي ﷺ عن كلام سائر الناس وذلك إكراماً وتقديراً لشأنه، على أن يكون التخريج للحديث في الهامش بالطريقة الآتية: عنوان وصاحب المصنف الحديثي، الكتاب، الباب إن وجد، رقم الحديث الجزء والصفحة، درجة الحديث، أمّا معلومات النشر الخاصة بالمصنَّف الحديثي، جعلتها عند قائمة المصادر والمراجع للمذكرة وذلك تجنبا للحشو في الهامش.

3 – توثيق المعلومات الواردة في المتن على الهامش كالآتي: المؤلَّف، المؤلِّف، الجزء والصفحة (دار النشر، مكان النشر، تاريخ النشر) رقم الطبعة إن وجدت، التحقيق على المؤلَّف إن وجد.

4 – عند نقل الكلام من المصنَّف نقل حرفي من غير تصرف؛ أجعله بين مزدوجتين على النحو الآتي:" " أمّا إذا نقلنا الكلام عن قائله بالمعنى أو تصرفنا فيه، أحيل في الهامش بـ: "ينظر".

5 – التزمت في بحثي برموز معينة هي كالآتي:

- (/): الجزء/الصفحة، ص: الصفحة.
- ط: الطبعة، لا.ط: لا طبعة.
- ت: التحقيق.
- لا.م: لا مكان، د.ت: بدون تاريخ.

- هـ: التاريخ الهجري، م: التاريخ الميلادي.

6 - أترجم الأعلام غير المشهورين فقط وأُحيل على الترجمة في الهامش.

7 - أشرح الألفاظ الغريبة الواردة في المتن وأحيل عليها بهذه العلامة:*.

سابعا: الدراسات السابقة في موضوع البحث

بعد البحث عمّا كُتب في هذا الموضوع بشكل مستقل في الشبكة العنكبوتية، وبعد استشارة بعض الأساتذة الأفاضل حول إمكانية وجود دراسات على الموضوع، توصلت إلى أنّه لا يوجد للسّر دراسات سابقة، بينما وجدت دراسة متعلقة بأحد مفرداته في القرآن الكريم بعنوان: النجوى في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)، للدكتور تاج الدين أمجد عبد المنعم، جامعة تكريت/ كلية التربية سامراء قسم علوم القرآن الكريم، وصدرت في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 12، العدد9، بتاريخ: تشرين الأول 2010.

ثامنا: المصادر والمراجع

وفي طريق إنجاز البحث استعنت بمجموعة من المصادر والمراجع تركّزت على كتب التفسير وكتب التفسير الموضوعي، وكتب اللغة.

تاسعا: خطة البحث

بعد توضح موضوع البحث الذي سأدرسه، سرْت في انجازه وفق خطة منهجية متكونة من مقدمة وفصلين وخاتمة، وفهارس فنية.

فخصصت الفصل الأول من البحث: في الدراسة المصطلحية للفظة السّر في القرآن الكريم والذي قسمته إلى ثلاثة مباحث؛ الأول في المعنى اللغوي والاصطلاحي للسّر والثاني: في المفردات القريبة الدلالة من السر في القرآن الكريم وبيان أهم الفروق بينها وبين السّر، أمّا الثالث: فخصصته في تعيين الوجوه والنظائر لكلمة السّر في القرآن الكريم.

فكان هذا الشق الجانب النظري من الدراسة، بينما تمثل الفصل الثاني في الجانب التطبيقي للدراسة والذي حددت فيه السياقات التي جاءت فيها لفظة السّر في القرآن الكريم والتي تلخّصت لي في ثلاثة مباحث ؛ الأول: في ورود كلمة السر في سياق ذكر الأحكام الشرعية والثاني: في ورود السر في سياق مخاطبة النبي ﷺ أما الثالث: ففي ورودها في سياق الآداب والأخلاق.

عاشرا: صعوبات البحث

لا يكاد يخلو أي بحث علمي من عوائق وصعوبات في انجازه، ومن الصعوبات التي واجهتني في مسيرتي مع هذه الدراسة:

1 – عدم توفر دراسات حول الموضوع.

2 – صعوبة تتبّع واستقراء الآيات الواردة فيها السرّ في القرآن الكريم، واستخراج الدلالات والمفردات القريبة منها، الذي أخذ مني الوقت الطويل والجهد الكبير.

2 – كثرة المادة العلمية وصعوبة ترتيبها وتنسيقها وفق خطة منظمة وممنهجة.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصا لوجه الله تعالى، وعسى الله أن يجازي كل من قدّم لي يد العون في انجاز هذا البحث، فسبحانك رب العزة وبحمدك وأشهد أن لا اله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله عليه أفضل الصلاة والتسليم.

الفصل الأول:

الدراسة المصطلحية لكلمة السر في القرآن الكريم

وفيها ثلاثة مطالب:

المبحث الأول: معاني السر في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: المعاني المرادفة أو القريبة من كلمة السر في القرآن الكريم

المبحث الثالث: الوجوه والنظائر لكلمة السر

الفصل الأول: الدراسة المصطلحية لكلمة السرّ في القرآن الكريم

المبحث الأول: معاني السرّ في اللغة والاصطلاح

سأقوم في هذا المبحث باستخراج اشتقاقات وتصريفات لفظة السرّ حسب ورودها في القرآن الكريم، ومن ثمّ معرفة معاني السرّ عند اللّغويين وفي الاصطلاح ونختمها بمعناه في القرآن وأقوال المفسرين فيه.

المطلب الأول: اشتقاقات وتصريفات لفظة السرّ في القرآن الكريم

وردت كلمة السرّ في القرآن الكريم في إحدى وثلاثين موضعاً وعلى تصريفات واشتقاقات مختلفة فوردت فعلاً بمختلف أزمنته الثلاث، واسماً في عدّة مواضع، وجاءت مصدرا مرتين والتفصيل في ذلك على النحو الآتي[1]:

الفرع الأول: التصريفات

جاءت كلمة السرّ في القرآن الكريم على تصريفات؛ فقد أتت على وزن فعل بأزمنته الثلاث:

أ ــ الفعل الماضي: جاءت لفظة السرّ على وزن الفعل الماضي في القرآن الكريم في عشرِ مواضع وذلك في قوله تعالى:

1 - ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾ [طه: 62].

2 - ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [يونس: 54].

(1) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص:442-443 (دار الفكر للطباعة والنشر لا.م، 1412هـ-1992م) ط:3.

3 - ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء: 3].

4 - ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ: 33].

5 - ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: 77].

6 - ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح: 9].

7 - ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرعد: 10].

8 - ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [التحريم: 3].

9 - ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك: 13].

10 - ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ﴾ [يوسف: 19].

ب ــ الفعل الضارع: وردت كلمة السرّ على وزن الفعل المضارع في ثماني مواضع:

1 - ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النحل: 19].

2 - ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [التغابن: 4].

3 - ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة: 1].

4 - ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة: 77].

5 - ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [هود: 5].

6 - ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴾ [النحل: 23].

7 - ﴿ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ [يس: 76].

8 - ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ [البقرة: 69].

ج ـ الفعل الأمر: لم ترد كلمة السرّ على وزن الفعل الأمر سوى في موضع واحد وهو في قوله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك: 13].

الفرع الثاني: الاشتقاقات

وردت كلمة السّر على عدة اشتقاقات، منها ورودها اسماً ومصدراً.

أ ـ اسماً: وذلك في قوله تعالى:

1 - ﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ [طه: 7].

2 - ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا ﴾ [الفرقان: 6].

3 - ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴾ [الأنعام: 3].

4 - ﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ ﴾ [الزخرف: 80].

5 - ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [التوبة: 78].

6 - ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ [البقرة: 235].

7 - ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة: 274].

8 - ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: 22].

9 - ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ [إبراهيم: 31].

10 - ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقٗا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: 85].

11 - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: 29].

ب ــ مصدراً: لم تأت لفظة السرّ مصدرا إلاّ في موضع وحيد وهو في قوله تعالى:

1- وقوله: ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ [نوح: 9].

النتيجة:

لكلمة السرّ في القرآن الكريم تصريفات واشتقاقات، أمّا التصريفات فجاءت على وزن الفعل الماضي في عشرِ مواضع والفعل المضارع في ثماني مواضع أمّا الفعل الأمر فموضع وحيد لا غير، والاشتقاقات تجلّت في الاسم الذي وردت فيه اللفظة في أحد عشر موضعاً والمصدر الذي أتى في موضع واحد.

المطلب الثاني: معني السرّ في اللغة والاصطلاح

بعد أن أوضحت في المطلب السابق الاشتقاقات والتصريفات لكلمة السرّ في القرآن الكريم سأشرع هاهنا في تعريف هذه اللفظة بدءاً بمعناها اللغوي ثمّ الاصطلاحي؛ فأطلقت في تحديد معنى كلمة السرّ اصطلاحين أولهما في اصطلاح أهل الأخلاق والثاني في اصطلاح المفسرين.

الفرع الأول: السرّ في اللغة

أطلق اللغويون على لفظة السرّ عدّة معاني ودلالات كانت مستوحاة من مدلول كلام العرب، وكذلك ممّا فسرّه اللغويون من آيات القرآن الواردة في السرّ، وأمّا أبرز معاني السرّ في اللغة :

1 ــ الإخفاء والكتمان: قال ابن فارس[1]: "السين والراء يجمع فروعه إخفاء الشيء"[2].

والسرّ ما أخفيت، وما كتمت[3] وهو ضدّ الإعلان[4]، والجمع أسرار، ويقال رجل سريّ: أي: يصنع الأشياء سرّا والسريرة جمع سرائر وهي كالسرّ، والفرق بينهما هو أنّ السرّ ما أسررت به، أمّا السريرة فهي ذات عمل السرّ من خير أو شر، سرَرُ الشهر، بالتحريك، آخر ليلة منه، وهو مشتق من قولهم: استسرَّ القمر، أي: خَفِي ليلة السِّرار.

---

(1) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الإمام، العلامة، اللّغوي، المحدّث، الفقيه المالكي، ولد سنة (329هـ)، له عدة مؤلفات حافلة أبرزها: كتاب مقاييس اللّغة، وهو كتاب جليل لم يصنف مثله، وكتاب المجمل، وفقه اللغة، وألّف في التفسير فكان له كتاب: جامع التأويل في تفسير القرآن، من أربع مجلدات، توفي اللّغوي النحويّ ابن فارس سنة مات سنة (396هـ). ينظر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، 410/1- 411-412 (دار الغرب الإسلامي، بيروت 1414هـ-1993م) ط:1، ت: إحسان عباس.

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 67/3 (دار الفكر، 1399هـ-1979م) لا.ط، ت: عبد السلام محمد هارون.

(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 356/4 (دار صادر، بيروت، 1414هـ) ط:3.

(4) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص:171 (دار الفكر، بيروت-لبنان، 1429هـ/1430هـ2009م) لا.ط، ت: يوسف الشيخ محمد البقاعي.

2 ــ الإظهار والإعلان: وذلك من فعل الإسرار وهو: (أسرّ)، وهو: من الأضداد، يقال أسرّ الشيء كتمه وأظهره، والمعنيان مجموعان في قوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ [يونس: 54]، أي: أظهروها[1].

وقد نسب ابن منظور هذا القول لأبو عبيدة[2] حيث قال: "أسررت الشيء أخفيته وأسررته أعلنته"[3].

3 ــ الإعلام والإفضاء: قال صاحب اللّسان: "وسارّهُ مسارّةً وسِرارا: أعلمه بسرِّه، والاسم السَّرَرُ، والسِّرار مصدر سَاررتُ الرجل سِراراً"[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾[الممتحنة:1]، أي: تفضون إليهم بمودتكم سرّا[5].

4 ــ خالص الشيء ومستقرّه: قال ابن فارس: "فالسرّ خالص الشيء، ومنه السرور لأنه أمر خال من الحزن، والسُّرَّة سُرَّة الإنسان، وهو خالص جسمه ولينه... وسرير الرأس مستقرّه"[6].

5 ــ النكاح: قال الجوهري[7]: "السرّ الجماع"[8].

---

(1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 356/4-357.

(2) معمر بن المثنى، أبو عبيدة التيمى، البصرى، النحوي، اللغوي من كبار التابعين، ولد سنة (110هـ)، له تصنيف كثيرة، أبرزها: "مجاز القرآن" و"غَرِيب الحَدِيث"، لم يستقر تاريخ وفاته في كتب التراجم، ولكن لأغلبها حددتها بسنة (208هـ). ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، 276/3-285 (دار الفكر العربي، القاهرة- ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1406هـ-1982م) ط:1، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(3) لسان العرب، ابن منظور، 357/4.

(4) المصدر نفسه، 357/4.

(5) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، 467/3 (دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ-1998م) ط:1 حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو.

(6) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 68/3-69.

(7) إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر الفارابي، المتوفَى سنة (393هـ) لغويّ، من الأئمة من أشهر كتبه (الصحاح) في مجلدان؛ وله كتاب في (العروض) ومقدمة في النحو. ينظر: الأعلام، الزركلي، 313/1 (دار العلم للملايين، بيروت 2002م) ط:15.

(8) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، 681/2 (دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ-1987م) ط:4، ط:4، ت: أحمد عبد الغفور عطار.

قال رؤبة[1]:

فَعَفَ عَنْ أَسْرَارِها بَعْدَ العَسَقْ ... وَلَمْ يُضِعْهَا بَيْنَ فِرْكٍ وَعَشَقْ[2].

"والسُّرية: الأمَة التي بوّأتها بيتاً، واتخذتها للمُلك والجماع منسوبة إلى السِّر بالكسر للجماع لأن الإنسان كثيرا ما يسُرُّها ويسترها وقيل... لأنّها موضع سرور الرجل، ويقال للحرّة إذا نُكحت سِرّا أو كانت فاجرة سِرِّية"[3].

النتيجة:

بعد دراسة معاني كلمة السرّ في اللغة، وما تحتمله هذه اللفظة من معاني ممّا أطلقه اللغويون حول معانيها المستعملة غالبا في كلام العرب، توصلت إلى أنّ كلمة السرّ في اللغة تدور حول ستِّ معانٍ ألا وهي: (الإخفاء والكتمان، الإظهار والإعلان، الإعلام والإفضاء، خالص الشيء ومستقرّه، النكاح،والمعنى الأكثر استعمالا هو معنى السرّ المشهور الذي أُستُقِيَتْ منه جُلُّ المعاني الأخرى ألا وهو السرّ بمعنى الإخفاء والكتمان.

الفرع الثاني: السرّ في الاصطلاح

بعد الخوض في تحديد معنى كلمة السرّ في اللغة وما أطلق فيها من معاني لغوية مختلفة سأقوم هاهنا بتحديد معنى السرّ في اصطلاح أهل الأخلاق وذكر أنواعه، ثمّ معناه في اصطلاح المفسرين من خلال تفسيراتهم للآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة السرّ.

أولا: معنى السرّ في اصطلاح أهل الأخلاق وأنواعه

1 – السرّ اصطلاحا:

(1) رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي أبو الجحّاف أَو أَبو محمد راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مِنْ أَعْرَابِ الْبَصْرَةِ، له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز، وكان بصيراً باللغة بحواشيها وغريبها، توفي رحمه الله بالبادية (145هـ). ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، 303/3-304 (دار صادر، بيروت، 1972م) لا.ط، ت: إحسان عباس. والأعلام، الزركلي، 34/3.

(2) ديوان رؤبة بن العجاج، ص:104 (دار ابن قتيبة، الكويت، د.ت) لا.ط، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليد بن الورد البروسي.

(3) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، ص:12-13 (مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1393هـ-1973م) ط:2، ت: مصطفى الحجازي.

السرّ هو: الحديث المكتَتَم في النّفس[1]، وقال الرّاغب[2]: "والسرّ هو الحديث المكتم في النفس"[3].

وجاء في التعريفات بأنّه: "لطيفة مُودَعة في القلب كالرُّوح في البدن، وهو محلّ المشاهدة كما أن الرّوح محلّ المحبة، والقلب محلّ المعرفة"[4].

والسرّ الأمانة؛ وذلك لأنّ السرّ بينك وبين من ائتمنك على سرّه أمانة[5]، فلا تفْش ذلك، فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حدّث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة**»[6].

2 – أنواع السرّ:

بناءًا على ما ذُكِر في تعريف السّر؛ نستطيع القول بأنّ الإمام الراغب الأصفهاني قد جمع معاني السّر وقسَّمه بدوره إلى نوعين، فقال: "السّر ضربان أحدهما: ما يلقي الإنسان من حديث يستكتم، وذلك إمّا: لفظًا كقولك لغيرك: (أكتم ما أقول لك)، وإمّا: حالًا وهو أن يتحرى القائل حال انفراده فيما يورده، أو يخفض صوته أو يخفيه عن مجالسه، ولهذا قيل إذا

(1) التوقيف على مهمّات التعاريف، المناوي، ص:193 (عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت، القاهرة، 1410هـ-1990م) ط:1.

(2) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني أديب، إمام من حكماء العلماء، اشتهر بالتفسير واللغة أصله من أصفهان، وعاش ببغداد، من كتبه تحقيق البيان في تأويل القرآن ومعجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، توفي: (502هـ). ينظر: معجم المفسرين (من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر)، عادل نويهض، 158/1 (مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، 1409هـ- 1988م) ط:3.

(3) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص:172.

(4) التعريفات، الجرجاني، ص:118 (دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1403هـ-1983م) ط:1، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر.

(5) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ، شحاتة محمد صقر، 300/1 (دار الفرقان للتراث، البحيرة، د.ت) لا.ط.

(6) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: باب البرّ والصلاة، باب ماجاء أنّ المجالس أمانة، رقم الحديث: 1959 341/4، قال الألباني: (حديث حسن).

حدّثك إنسان بحديث فالتفت فهو أمانة، والثاني: أن يكون حديثًا في نفسك بما تستقبح إشاعته أو شيئًا تريد فعله"[1].

وعلى الضرب الأوّل: فإنّ السرّ أمانة؛ أمّا الضرب الثاني: فهو ما عرِّف به على أنّه الحديث المكتم في النّفس.

ثانيا: معنى السرّ في اصطلاح المفسرين

السرّ ضدّ الجهر؛ قال تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: 7]، والمراد بالسرّ: ما قاله العبد سرّاً، وهو ما توسوس به نفسه وهو مُحسّد في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[ق: 16][2].

ومعناه هذا في عدّة مواضع من القرآن؛ كقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ [محمد: 26]، وقوله: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾[3] [التغابن: 4].

وذكر المتقدّمون معنى السرّ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: 7]، فعن ابن عباس: "السرّ ما حدّث به الإنسان غيره في خفاء"[4].

وقال أيضا: "السرّ ما أسرّه ابن آدم في نفسه، وورد عن الضحّاك: السرّ ما تُحدّث به نفسك، وعن قتادة: السرّ ما حدّثت به نفسك وما لم تحدث به نفسك أيضا مما هو كائن"[5].

---

(1) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ص:194 (دار الكتب العلمية، لا.م، 1400هـ-1980م) ط:1.

(2) ينظر: تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان، محمد أمين الشنقيطي، ص:703 (دار الفضيلة، الرياض، دار الهدي النّبوي، مصر-المنصورة، 1426هـ-2005م) ط:1، إعداد: سيّد محمد ساداتي الشنقيطي.

(3) المصدر نفسه، ص:703.

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 16/14 (مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان،1427هـ-2006م) ط:1، ت: عبد عبد الله بن محسن التركي.

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، 272/18-273، 275/5 (مؤسسة الرسالة، لا.م، 1420هـ-2000م) 2000م) ط:1، ت: أحمد محمد شاكر.

ولم يختلف الأمر عند المفسرين المتأخرين كثيرا.

قال الشوكاني: "السرّ ما حدّث به الإنسان غيره وأسرّه إليه؛ وقال أيضا: السرّ ما أضمره الإنسان في نفسه"[1].

وقال الشيخ الطاهر ابن عاشور: "والسرّ ما يخفيه المرء من كلام وما يضمِر في نفسه فلا يطّلع عليه الناس"[2].

وإسرار الشيء: إخفاؤه وكتمانه، وهو المشهور في اللّغة كقوله: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾[البقرة: 77]، والفعل منه أسرّ وقيل إنّه من الأضداد، فيستعمل بمعنى أظهر ويستعمل بمعنى: أخفى، كقوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ [يونس: 54]، فقد احتملت الوجهين[3].

وعرّفه صاحب الكشاف بأنّه: "ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال"[4].

النتيجة:

بعد دراسة كلمة السرّ وتحديد معانيها في اللغة والاصلاح أستخلص من هذا المبحث النقاط الآتية:

1 – جاءت لفظة السرّ في القرآن الكريم على اشتقاقات وتصريفات مختلفة.

2 – لكلمة السرّ في اللغة عدّة معانٍ أهمها السرّ بمعنى الإخفاء.

3 – السرّ في اصطلاح أهل الأخلاق واصطلاح المفسرين، جاء بمعني الحديث المُكتتم والمُخفي في النفس.

أمّا فيما يختصّ بمعاني لفظة السرّ في القرآن الكريم، فلقد خصّصت لذلك مبحثين أحدهما في المعاني القريبة منها والثاني في الوجوه والنظائر للفظة وتوفيقنا على اللّه.

(1) فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، 904/16 (دار المعرفة، بيروت–لبنان 1428هـ–2007م) ط:4، اعتنى به وراجعه يوسف الغوش.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 274/10 (الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ) لا.ط.

(3) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري، 274/12 (دار طوق النجاة بيروت–لبنان،1421هـ–2001م) ط:1، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي.

(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، 265/4 (دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ) ط:3.

المبحث الثاني: المعاني المُرادفة أو القريبة من كلمة السرّ في القرآن الكريم

السرّ في القرآن الكريم له معانٍ ودلالات قريبة منه، سأقوم بإدراجها ضمن هذا المبحث.

أمّا المرادفة له؛ فمسألة الترادف ممّا تباينت فيه آراء العلماء قديما وحديثا بين مُثبتين ومُنكرين، فمن أثبته: "قد أكّد وجود الترادف التام وقالوا: لو لم يكن هناك ترادف تام وكان لكل لفظة معنى خاص بها لما أمكن أن تُعبر عن الشيء بغير عبارته، ألا تراهم يقولون في تفسير ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: 2]: (لاشك فيه)، فلو كان الريب غير الشك لكان التعبير عن معنى الريب بالشك خطأ، فلمّا عُبِّر بهذا دلّ على أنّ المعنى واحد، ومن أصحاب هذا الرأي الفخر الرّازي وبعض أهل اللّغة من بينهم: ابن خالويه، الفيروز آبادي، ويميل إليه المحدِّثون من علماء اللّغة فيظهر لنا من هذا أنّ المتساهلين يكتفون بتقارب الألفاظ من معانيها العامّة ويحكمون عليها بالترادف"[1].

ومن أنكره: فقد ردّ الترادف التام وأكّد وجود الفروق الدقيقة الحاصلة بين الألفاظ والتي تبدو كأنّها مترادفة، قال الراغب في مقدمة كتابه (المفردات): "وأتبع هذا الكتاب إن شاء اللّه ونسأ في الأجل بكتابٍ ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينهما من الفروق الغامضة، فبذلك يُعرف اختصاص كلّ خبر بلفظٍ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته"[2]، وقال ابن فارس: "والذي نقوله في هذا: إنّ الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الألقاب صفات ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى، وقد خالف فِي ذلك قوم فزعموا أنّها وإن اختلفت ألفاظها فإنّها ترجع إلى معنى واحد"[3].

---

(1) مقدمة المحقق: محمد ابراهيم سليم، ص:7 من كتاب الفروق اللغوية،لأبي هلال العسكري (دار العلم والثقافة، القاهرة-مصر، د.ت) لا.ط.

(2) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص:8.

(3) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، ص:59 (محمد علي بيضون، لا.م 1418هـ-1997م) ط:1.

وأفرد الكثير من العلماء مصنّفات في الفروق بين الألفاظ الذي يدل على ردّ كثير من العلماء للترادف واثبات المعاني الفارقة بينها على سبيل المثال: (الفروق بأبي هلال العسكري).

وجاء في القرآن الكثير من التفريق بين الألفاظ من حيث استخدامها في المواضع المختلفة وذلك ليس إلّا لما بين لكل لفظة وأخرى من دلالة ومعنى تتميز به دون غيرها قال تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾ [الحجرات: 14]، فهكذا نراه يُفَرّق بين لفظة وأخرى ففرّق بين الإسلام والإيمان وذلك لأنّ لكلّ كلمة منهما دلالة ليست حاصلة في الأخرى.

وعلى هذا سار كثير من العلماء مُتّبعين هذا المنهج الذي يقتضي بدوره النّظر في دلالات الألفاظ ومراعاة استخدامها في المقام المناسب لها، فنجدهم في مصنّفاتهم يفردون فصولاً في ذكر الألفاظ التي يُظن بها الترادف وليست منه مُبَيِّنين الفروق بينها منهم: الزركشي في البرهان[1] والسيوطي في معترك الأقران[2] وأصحاب هذا الاتجاه هم الأرجح لقوّة أدلتهم ولموافقة رأيهم لما هو منظور في استعمال القرآن الكريم وما غلب عليه.

ويتَّضح ممّا سبق أنّ أنسب ما يطلق في بيان معنى الترادف وطريقة استعمال القرآن لمضمون هذا المصطلح أنّ الترادف هو: الألفاظٍ ذات الدلالات المتقاربة في المعنى.

(1) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 78/4 (دار إحياء الكتب العربية، لا.م، 1376هـ-1957م) ط:1، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(2) معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، 485/3 (دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان 1408هـ-1988م) ط:1.

المطلب الأول: النّجوى والكتمان

لفظتا (النّجوى)و(الكتمان) في القرآن الكريم ذُكرتا في مواضع عديدة، وهما من المعاني القريبة الدّلالة لكلمة السرّ في القرآن الكريم، ومسعانا هاهنا توضيح ذلك، وبيان أهم الفروق بين السرّ واللّفظة المرادفة له.

الفرع الأوّل: مفهوم النّجوى لغة واصطلاحا والفرق بينه وبين السرّ

أولا: مفهوم النّجوى لغة واصطلاحا:

أ – لغة: "هي مصدر بمعنى التناجي، وهو المسارّة؛ مأخوذة من النّجوة، وهي ما ارتفع من الأرض"[1]، "ومعنى نجوت الشيء في اللّغة خلّصته وأقيته، يُقال: نجوت الشيء أنجوه إذا ناجيته"[2]، "والنّجوُ ما يخرج من البطن واستنجى مسح موضع النّجو أو غسله، والنّجوُ السرّ بين اثنين، يقال: نجوته نجواً أي: سارررته وكذا ناجيته وانتجى القوم أي: تساروا"[3].

ب – اصطلاحا: "النّجوى الحديث السري... فالتناجي هو: أن يتكلم طرف مع آخر أو أكثر كلامًا سريًا، والنّجوى في الأصل سرٌّ من القول"[4].

قال ابن عاشور: "والنّجوى مصدر، هي المسارة في الحديث"[5].

---

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، 217/14 (دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ) ط:1، ت: علي عبد الباري عطية.

(2) تهذيب اللغة، الأزهري، 135/11 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م) ط:1، ت: محمد عوض مرعب.

(3) مختار الصحاح، الرازي، ص:305 (المكتبة العصرية–الدار النموذجية، بيروت–صيدا، 1420هـ–1999م) ط:5 ت: يوسف الشيخ محمد.

(4) ينظر: التفسير–المستوى الثاني–، عبد البديع أبو هاشم، 13/10–14 (مكتبة الأكاديمية–مكتبة دروس الأكاديمية، لا.م، د.ت) لا.ط.

(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 198/5.

وعرّفها القرطبي فقال: "النّجوى ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيئا ويتناجون به، والسرار ما كان بين اثنين"[1]، وقال الزجاج: "النجوى في الكلام ما تنفرد به الجماعة أو الاثنان سراً كان ظاهرا أو باطنا"[2].

النتيجة:

وعليه فالنّجوى هي: المسارّة في الكلام، منهم من حددها بين اثنين ومنهم من جعلها بين أكثر من اثنين؛ ولكنّها ما يقع بين جماعة سواءً كانت اثنين أو أكثر من كلامٍ سرّي وفي خفية هذا ما اتفقت عليه أقوال العلماء فيها.

ثانيا: الفرق بين النّجوى والسرّ:

النجوى كما ذكرنا سابقا من المعاني القريبة من كلمة (السرّ)، وهذا يعني أنّه لا تخلو أن تكون بين اللّفظتين فروق، وهذه الأخيرة إمّا أن تكون لغويّة؛ أو ممّا ذكره المفسرون في تفسير الآيات التي وردت فيها النّجوى.

أ – الفروق اللغوية:

1 – "النجوى اسم للكلام الخفيّ الذي تناجي به صاحبك كأنك ترفعه عن غيره، وذلك أنّ أصل الكلمة الرِفعة، ومنه النَّجوة من الأرض، وسُمِّي تكليم الله تعالى موسى عليه السلام مناجاةً لأنّه كان كلاماً أخفاه عن غيره؛ والسرّ إخفاء الشيء في النّفس ولو اختفى بستر أو وراء جدار لم يكن سرّا، ويقال في هذا الكلام سرٌّ تشبيهاً بما يخفي في النّفس، ويقال سرِّي عند فلان تريد ما يخفيه في نفسه من ذلك، ولا يقال نجواي عنده وتقول لصاحبك هذا سرًّا أُلقيه إليك تريد المعنى الذي تخفيه في نفسك"[3].

2 – "النّجوى تتناول جملة ما يُتناجى به من الكلام؛ والسرّ يتناول معنى ذلك، وقد يكون السرّ في غير المعاني مجازا، تقول فَعل سرّاً، وقد أسرّ الأمر، والنّجوى لا تكون إلاّ كلاماً"[4].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 20 /306-307.

(2) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 104/2 (عالم الكتب، بيروت، 1408هـ-1988م) ط:1، ت: عبد الجليل عبده شلبي.

(3) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص:63.

(4) المصدر نفسه، ص:63.

ب – ما ذكره المفسرون من فروق:

يظهر الفرق بين (السرّ) و(النّجوى) في أقوال المفسرين جَليّاً، في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ ﴾ [الزخرف: 80]، وقوله: ﴿ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [التوبة: 78].

ولنا أن نذكر بعض أقوالهم فيهما:

قال القرطبي: "النّجوى ما يكون من خلوة ثلاثة، يُسِّرون شيئا ويتناجوْن به، والسِّرار ما كان بين اثنين"[1]، وقال أبو حيّان في البحر المحيط: "سرّهم ما يُسَارُّ به بعضهم بعضا، ونجواهم ما تحدّثوا به جهراً بينهم، وهذه أقوال متقاربة متّفقةً في المعنى"[2].

ولقد عرّف الشيخ الطاهر ابن عاشور كلٌّ من اللّفظين، وأوضح الفرق بشكلٍ أدق عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ﴾ [التوبة: 78]، فقال: "السرّ ما يخفيه المرء من كلام وما يُضمر في نفسه فلا يطّلع عليه الناس؛ والنّجوى: المحادثة بخفاء، أي: يعلم ما يُضمرونه في أنفسهم وما يَتحادثون به حديث سرٍّ لئلّا يطَّلع عليه غيرهم؛ وإنما عطفت النجوى على السر مع أنه أعم منها ليُنبِئهم باطِّلاعه على ما يتناجون به من الكيد والطعن"[3].

وأقوال المفسرين في ذلك كثيرة؛ ونخلص من ذلك إلى النّقاط الآتية:

1 – لفظا (السرّ) و(النّجوى) بينهما تقارب دلالي، بحيث يشتركان في معنى الكتمان والإخفاء.

2 – السرّ أعم من النّجوى؛ لأنّه يشمل الحديث وغيره، بينما النّجوى مختصّة بالحديث الخفيّ فقط.

3 – السرّ أشدّ خفاءًا من النّجوى، لأنّ النّجوى يطّلع عليها بعض النّاس، بينما السرّ فلا يطّلع عليه غير صاحبه وبالطبع سبحانه وتعالى علّام الغيوب.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 306/20-307.

(2) البحر المحيط، أبو حيان، 76/5 (دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1413هـ-1993م) ط:1، ت: عادل أحمد، علي معوض.

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 274/10.

4 – بين السرّ والنجوى فرق من ناحية العدد؛ حيث أنّ السرّ ما يكون بين المرء ونفسه أو مع غيره، بينما النجوى فتكون بخلوة ثلاثة فأكثر.

الفرع الثاني: مفهوم الكتمان لغة واصطلاحا والفرق بينه وبين السرّ

أولا: مفهوم الكتمان لغة واصطلاحا:

أ – لغة: مِن كتَم الشيء كتْما وكتْمانا أي: ستره وأخفاه، فهو كاتِم وكَتَّامٌ وكِتَامة وكتُوم كَتَمَ الشيء بالغ في كتمانه، واستكتمه الخبر والسرّ أي: سأله كتْمه، واكتتمه أي: أخفاه[1].

ب – اصطلاحا: "الكتمان ستر الحديث... قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ ﴾ [البقرة: 140]، وقال: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 146]"[2].

والكتمان في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن ﴾ [النساء: 37]، هو بمعنى كفران النّعمة، وهو ما يُطلق عليه كتمان الفضل وفي قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: 42]، هو أن تنطق جوارحهم[3].

والكتمان: "ضبط النّفس ضدّ دوافع التعبير عمّا يختلج فيها"[4].

(1) ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ص:776 (مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية 1425هـ-2004م) ط:4.

(2) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص:322.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص:322.

(4) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمان حبنكة الميداني، 358/2 (دار القلم، دمشق، 1420هـ-1999م) ط:5.

وذكر المفسرون في تفسيراتهم للآيات التي وردت فيها لفظة (الكتمان)؛ أنّها من الألفاظ المرادفة للسرّ، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[البقرة: 33]، "أي: تُسرّون"[1]، وقال ابن كثير: "﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[البقرة: 33]، يقول: أعلم السرّ كما أعلم العلانية، يعني: ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار"[2].

وقال أبو جعفر: "﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[البقرة: 33]، وما كنتم تخفونه في أنفسكم، فلا يخفى عليّ شيء، سواءٌ عندي سرائركم وعلانيتكم"[3].

ثانيا: الفرق بين الكتمان والسرّ:

يشترك كلّ من لفظي (السرّ والكتمان) في معنى الستر والإخفاء؛ والفرق بينهما "أنّ المكتوم يختص بالمعاني، كالأسرار والأخبار؛ لأنّ الكتمان لا يستعمل إلّا فيهما؛ والمستور يختصّ بالجثث والأعيان، لأنّ الأصل في السرّ تغطية الشيء بغطاء، ثمّ أُستعمل في غيره تجوُّزاً"[4]، وأوضحّ الشيخ ابن عاشور ذلك وقال: "الكتم والكتمان عدم الإخبار بما من شأنه أن يُخبر به من حادث مسموع أو مرئي، ومنه كتم السر وهو الخبر الذي تخبر به غيرك وتأمره بأن يكتمه فلا يخبره"[5].

وبإمكاني تلخيص كلام المفسرين واللغويين في الفرق بين السرّ والكتمان فيما يلي:

1 – السرّ والكتمان يشتركان في معنى الستر والإخفاء.

2 – ومن أهم الفروق بينهما أنّ الكتمان يستعمل في المعاني ويختص بها، بينما السرّ فيختصّ بالأعيان ولكنّه أُستُعمِل في المعاني تجوُّزاً لا حقيقة كالكتمان.

3 – الكتمان عدم الإخبار بما من شأنه أن يُخبر ومنه كتم السرّ، وعليه فالكتمان يشمل السرّ وهو أعمّ منه.

---

(1) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري، 306/1.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 228/1 (دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية–الرياض، 1420هـ – 1999م) ط:2، ت: سامي بن محمد سلامة.

(3) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، 500/1.

(4) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص:287.

(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 66/2.

المطلب الثاني: الإخفاء والغيب

ما ذُكر سابقا أنّ السرّ، هو الكلام الكتوم في النّفس، أو ما يُطلق عليه بحديث النّفس وهذا يُبيّن بدقة مدى تقارب المعنى بينه ولفظة (الإخفاء)، لأنّك ما كتمت شيئاً إلّا وأردت إخفاءه فالكتم والستر والإخفاء سواءٌ في المعنى، وما بينهم من فروق هي فروق طفيفة وأمّا لفظة (الغيب) فليست بهذا التقارب الدقيق للسرّ، وإنّما ذُكرت في بعض المواضع من القرآن الكريم بمعنى السرّ، وما سنُبَيِّنه هنا؛ هو الخطوات السابقة.

الفرع الأوّل: مفهوم الإخفاء لغة واصطلاحا والفرق بينه وبين السرّ

أولا: مفهوم الإخفاء لغة واصطلاحا:

أ – لغة: (خفي) الخاء والفاء والياء أصلان متباينان متضادان، فالأول: الستر: يُقال خفي الشيء يخفى وأخفيته، وهو في خفية وخفاء، إذا سترته... ويقولون: برح الخفاء أي: وضح السرّ وبدا؛ والثاني: الإظهار: تقول خَفا البرق خفْواً إذا لمع ويكون ذلك في أدنى ضعف، ويقال خفيت الشيء بغير ألف إذا أظهرته وخفا المطر الفأر من جحرتهن أي: أخرجهن[1].

ب – اصطلاحا: قال الراغب: الخفاء مايُستر به كالغطاء... وأخفيته أوليته خفاءً، إذا سترته، ويقابله الإبداء والإعلان[2]، قال تعالى:﴿ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ ﴾ [الممتحنة: 1]، أي: بما أضمرتم[3].

والآيات الواردة في أنّ (الإخفاء) بمعنى (الإسرار)كثيرة، وفسّرها المفسّرون به قال تعالى: "﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴾ [الأعلى: 7]، ما يَخْفى: كل ما يسُرّه بينه وبين نفسه مما لا يعلمه إلا اللّه تعالى"[4]، وفي دعاء زكرياّ لربّه: ﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم: 2-3]، أي: "سرّ بُعداً عن الرياء.. استحباب السرّية في الدّعاء

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 202/2.

(2) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص:117.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 401/20.

(4) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، 192/30 (دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ) ط:2.

لأنّه أقرب إلى الاستجابة"[1]، وتعاقبت أقوال العلماء في تفسير (السرّ) و(أخفى) على صيغة المبالغة من خَفى خفَاءً، في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ [طه: 7]، أي: "ما أسررته إلى غيرك وشيئا أخفى من ذلك، وهو ما أخطرته ببالك من غير أن تتفوه به أصلا، أو ما أسررته لنفسك وأخفى منه وهو ما ستسُرّه فيما سيأتي تنكيره للمبالغة في الخفاء"[2]، وأوضح ابن عطية العلاقة بين اللّفظين بشكل أدق في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [الأعراف: 55]، حيث قال: "وَخُفْيَةً يريد في النّفس خاصة، وقد أثنى الله ﷻ على ذلك في قوله: ﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم: 2]"[3]، ثمّ دعمّ مقولته بالحديث النبوي المروي عن النبي ﷺ الذي قال فيه: «**خير الذّكر الخفي**»[4].

ثمّ أوضح بعد ذلك فضيلة أعمال البرّ في السرّ عن الجهر فقال: "والشريعة مقرِّرة أن السرّ فيما لم يعترض من أعمال البرّ أعظم أجراً من الجهر، وتأوّل بعض العلماء (التضرع والخفية) في معنى السرّ جميعا"[5].

(1) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، 293/3-294 (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة المملكة العربية السعودية، 1424هـ-2003م) ط:5.

(2) إرشاد العقل السليم على مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، 5/6 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت) لا.ط.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 410/2 (دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ) ط:1، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد.

(4) أخرجه أحمد في مسنده، مسند: باقي العشرة المبشرين بالجنة، مسند: أبي اسحاق سعد بن أبي الوقاص ﷺ، رقم الحديث: 1477، 76/3، قال الألباني: (حديث ضعيف).

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 410/2.

وتفسير الصدقات في قول المولى ﷻ: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: 271]، بصدقة السرّ، وفي الحديث المروى: «**إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء**»[1]، "فهذه الآية عامة في أنّ إخفاء الصدقة أفضل"[2].

ثانيا: الفرق بين السرّ والإخفاء:

1 – الإخفاء أعمّ من السرّ، تقول: أخفيت السرّ.

2 – الإخفاء يختصّ بالأعيان والمعاني، لأنّه أعمّ من الكتمان الذي يستعمل للمعاني فقط لكن السرّ فيستعمل للأعيان فقط ولكنّه يُستَعمل في غيرها تجوُّزاً وليس حقيقةً كالإخفاء[3].

3 – "ما يسرّه المرء في نفسه من الأمور الَّتي عزم عليها هو السرّ، وأمّا الإخفاء فهو الذي لم يبلغ حد العزيمة"[4].

ويُوضحّه قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: 7]، "أي: يعلم السرّ وما هو أخفى منه؛ وهو الذي يخطر بالبال"[5]، فصيغة أخفى للمبالغة.

خلاصة ما قيل في الفرق بين السرّ والإخفاء:

1 – الإخفاء أعم من السرّ.

2 – السرّ يختَص بالأعيان إنمّا أُستعمل في المعاني مجازاً، أمّا الإخفاء فيختص بهما جميعا وحقيقة لا مجازاً.

3 – السرّ العزم على إسرار الأمر بينما الإخفاء فلم يبلغ حدَّ العزيمة بعد.

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في فضل الصدقة، رقم الحديث: 664، 43/3، وقال: (حديث حسن).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 702/1-703.

(3) ينظر: الفروق اللغوية، أبي هلال العسكري، ص:287.

(4) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، ص:514 (مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت) لا.ط، ت: عدنان درويش- محمد المصري.

(5) أوضح التفاسير، محمد بن الخطيب، 375/1 (المطبعة المصرية، مصر، رمضان 1383هـ-فيفري 1964م) ط:6.

الفرع الثاني: مفهوم الغيب لغة واصطلاحا والفرق بينه وبين السرّ

أولا: مفهوم الغيب لغة واصطلاحا:

أ – لغة: الغَيْبُ جمع غِيَاب وغُيوب، وكلّ ما غاب عنك بَعُد وبَطُنَ، ورجل غَائب، وقوم غَيَبٌ، وامرأة (مُغِيبة ومُغيب)، أي: غاب عنها زوجُها، والاسم منه الغيبة من الاغتياب وتكون حسنة أو قبيحة، ولا يكون ذلك إلّا من وراء الإنسان وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾[الحجرات: 12]، أي: لا يتناول رجلاً بظهر الغيب؛ و(الغَيْب): ما غاب عن العيونِ وإن كان مُحصَّلاً في القلوبِ[1].

ب – اصطلاحا: "الغيب خفاء الشّيء عن الإدراك"[2]، وجاء في التعريفات: "الغيب المكنون والغيب المصون هو السرّ الذاتي، وكنّهه الذي لا يعرفه إلا هو؛ ولهذا كان مصونا عن الأغيار ومكنونا عن العقول والأبصار"[3].

قال ابن عاشور: "الغيب مصدر غاب ضدّ حضر، والغيوب جمع غيب وهو ما خفي وغاب عن العيان"[4]، وجاءت لفظة (الغيب) في القرآن الكريم بمعنى (السرّ) في مواضع عديدة قال ﷻ: ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[التوبة: 105].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: "الغيب ما يسرّونه من الأعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة: 77]، فالتقديم حينئذ لتحقيق أنّ نسبة علمه المحيط بالسرّ والعلن واحدة على أبلغ وجه"[5]، وقوله: ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[التوبة: 94].

---

(1) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، 3/497-498-501.

(2) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص:264 (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1423هـ) ط:1، ت: ضاحي عبد الباقي محمد.

(3) التعريفات، الجرجاني، ص:163.

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 5/40، 10/274.

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، 4/101.

قال الطبري في تفسيره: يعني: "الذي يعلم السرَّ والعلانية، الذي لا يخفى عليه بواطن أموركم"[1]، والآيات القرآنية التي وردت في الغيب والشهادة، كثيرة وجميعها في أنّ لفظة (الغيب) بمعنى قريب من لفظة (السرّ)، وفسّرها أغلب العلماء كذلك، قال تعالى: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: 92]، ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: 9]، ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: 92]، ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [السجدة: 6]، ﴿ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: 46]، ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: 22]، ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الجمعة: 8]، ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [التغابن: 18]، وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [التوبة: 78].

"يخبرهم تعالى أنه يعلم السرّ وأخفى وأنه أعلم بضمائرهم وإن أظهروا أنّه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها، فإنه أعلم بهم من أنفسهم؛ لأنه تعالى علام الغيوب أي: يعلم كل غيب وشهادة وكل سر ونجوى، ويعلم ما ظهر وما بطن"[2].

والطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾ [يونس: 20]، "ويقول هؤلاء المشركون: هلا أنزل على محمد آيةٌ من ربه، يقول: عَلَمٌ ودليلٌ نعلم به أن محمدًا محق فيما يقول؟ قال الله له: (فقل) يا محمد (إنما الغيب لله)، أي: لا يُعلم أحدٌ يفعل ذلك إلا هو جلّ ثناؤه، لأنه لا يعلم الغيب (وهو السرُّ والخفيّ من الأمور) إلاّ الله"[3].

(1) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، 424/14.
(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 185/4.
(3) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، 48/15.

وفي قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: 49]، أي: "الذين يخافون عذاب ربهم فيأتمرون بأمره وينتهون بنهيه، في حال الخفاء والسرّ والخلوات، حيث لا يطّلع عليهم أحد من الناس، وقد تكرر في القرآن الكريم التركيز على هذا المعنى كما في قوله تعالى: ﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: 33]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ [الملك: 12]"[1]، وقال تعالى في سورة النمل: ﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [النمل: 75]، أي: "وما من أمر مكتوم وسرّ خفي يغيب عن الناظرين في السماء أو في الأرض إلا وهو في أم الكتاب الذي أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن من ابتداء الخلق إلى يوم القيامة، وهو بيّن لمن نظر إليه وقرأ ما فيه، مما أثبته ربنا جلّت قدرته"[2].

و(الغيب) بمعنى (السرّ) كذلك في حفظ المرأة المتزوّجة لأسرارها الزوجية؛ قال تبارك وتعالى: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: 34]، والغيب: السرّ، أي: حافظات للسرّ الذي يجري بينهن وبين أزواجهن في الخلوة من الرفث، الجماع والشؤون الخاصة بالزوجية، لا يُطلِعن أحدًا على ذلك السرّ ولو قريبًا[3]، وحِفظ كل ما غاب عن علم أزواجهن، ويدخل في ذلك صيانة أنفسهن وحفظ ماله وبيته و أسراره[4].

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، 69/17.

(2) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، 16/20 (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر 1365هـ-1946م) ط:1.

(3) ينظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري، 6 /60-71.

(4) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، 190/1 (شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416هـ) ط:1 ت: عبد الله الخالدي.

ثانيا: الفرق بين الغيب والسرّ:

1 – يُعلم ممّا سبق: أنّ الغيب؛ ما غاب عنك وممّا لا تدركه الحواس، والسرّ؛ ما كتمت في نفسك وأخفيته فكِلا اللّفظين يشتركان في معنى الغيبة وعدم الظهور أي: مُخالفان للجهر والإعلان والحضور والشهادة.

وأوضح الشيخ الآلوسي بعض الفروق المتعلقة بالغيب وما يُصاحبه من ألفاظ فقال: "إن لله تعالى غَيوبا غيب الظاهر وغيب الباطن وغيب الغيب وسرّ الغيب وغيب السرّ، فغيب الظاهر هو ما أخبر به سبحانه عن أمر الآخرة، وغيب الباطن هو غيب المقدورات المكنونة عن قلوب الأغيار، وغيب الغيب هو سرّ الصفات في الأفعال، وسرّ الغيب هو نور الذات في الصفة، وغيب السرّ هو غيب القدم وسرّ الحقيقة و الاطلاع"[1].

2 – الغيب أعمّ من السرّ، لأنّ السرّ من الغيب أي من الأمور الغائبة عن الحواس والمشاهدة والمكنونة التي لا تُعلم إلّا بوحي إلى رسله وإعلامه لأنبيائه ورسله ما غاب عن أعين النّاس وعنهم كذلك فهو ممّا استأثر الله بعلمه، والشواهد من القرآن كثيرة على ذلك... كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [التحريم: 3].

سبحانه أطلع نبيّه على إفشاء أمنا حفصة بنت عمر بن الخطّاب زوج رسول الله ﷺ لما أسرّه لها، من علم الغيب الذي لا يعلمه إلّا الله.

كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 81-82]، "لولا أنَّ هذا القرآن من عندِ الله تعالى لكان ما فيه من الإخبار بالغيب مما يُسِرُّه المنافقون وما يُبيِّتونه مختلفاً بعضُه حق وبعضه باطلٌ لأن الغيبَ لا يعلمه إلا الله تعالى؛ فكان الله تعالى يطلع

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، 363/2.

الرّسول ﷺ على المكائد التي كان يتواطئ بها المنافقين على النبيّ ﷺ وعلى الإسلام والمسلمين ويُخبره بها مفصَّلةً"[1].

3 – مُصاحبة لفظة (الغيب) في أغلب مواضع القرآن بلفظة (العلم) ووصفه بها (علم الغيب) لأنّ الغيب من أشهر أفراده وأدخلها في الخفاء أي: أنّ الغيب يشمل السرّ والكتمان وما أخفى منهما من خاطر البال وما يهجس في الصدر؛ فالغيب أخصّ من ناحية علمه لكلّ ما هو أدخل في الخفاء وأعمّ، لأنّ جميع أفراد الخفاء تشمله.

4 – الغيب الذي بمعنى السرّ هو من اختصاص علم الله العلميّ لا التكوينيّ وهو كقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة: 77]، والغيب ما لا تدركه الحواس من علم الغيب التكوينيّ أي بخلق الله للكون وسعته وما وراء هذا الكون من أمور غيبيّة لا يعلمها إلّا هو كأوصاف الجنّة وأهلها، وأحوال يوم القيامة، والتنبأ بالأمور قبل أوانها وغيرها من المغيبات التي ليس للعقل البشري قدرة على استيعابها وعليه فعلم الله بالسرّ من اختصاص الغيب العلميّ[2].

وما يمكن استنتاجه ممّا سبق عرضه من فروق بين السرّ والغيب النقاط الآتية:

1 – الغيب والسرّ لفظتان تشتركان في معنى الخفاء وعدم الظهور، ومخالفتهما للإعلان والظهور.

2 – الغيب أخصّ من السرّ من ناحية علمه لكلّ ما هو أدخل في الخفاء، وأعمّ لأنّ جميع أفراد الخفاء تشمله، والسرّ من بينها، الذي يختصّ بالغيب العلمي لله لا التكويني.

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، 2/207-208.

(2) ينظر: المصدر نفسه، 121/7، 218/5،133/4.

المطلب الثالث: الإكنان والخبء

من المفردات القريبة لمعنى السرّ في القرآن الكريم؛ لفظتي (الإكنان) و(الخبء)، وسأتطرق هاهنا في توضيح هذا القرب والاتساق بين هذه الألفاظ.

الفرع الأول: مفهوم الإكنان لغة واصطلاحا والفرق بينه وبين السرّ

أولا: مفهوم الإكنان لغة واصطلاحا:

أ – لغة: معنى الإكنان في اللغة: الإخفاء والستر، قال ابن منظور: "كنن؛ الكِنُّ والكِنَّةُ والكِنَانُ وِقاء كُلِّ شيءٍ وسِترُه... والجمع أكنان وأكنّة"[1]، وقال الفراء: "للعرب في أكننت الشيء إذا سترته لغتان، كَنَنْتُهُ، وأَكْنَنْتُهُ وأنشدوني:

ثلاثٌ من ثلاثٍ قُدَامياتٍ ... من اللّاتي يَكُنُّ من الصَّقيع"[2].

"وبعضهم يرويه تُكِن من أكننت، وكننت الشيء: سترته وصنته من الشمس، وأكننته في نفسي: أسررته، وقال أبو زيد: كننته وأكننته بمعنى في الكِنِّ وفي النّفس جميعا، تقول: كننت العلم وأكننته، فهو مكنون ومُكَنٌّ، وكَنَنْت الجارية وأكْنَنتها، فهي مكنونة ومُكَنَّة"[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الطور: 24]، وقوله: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصافات: 49].

ب – اصطلاحا: الإكنان من أكننتُ؛ و"معناه أضمرت، ويستعمل ذلك في الشيء الذي يُخْفِيهِ الإنسانُ وَيسْتُره عن غيره وهو ضِدُّ أَعْلَنْتُ وأَظْهَرْت"[4].

قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص: 69]، أي: "أن الله تعالى يعلم السرّ والإعلان"[5].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، 360/13.

(2) معاني القرآن، الفراء، 152/1 (دار المصرية، مصر، د.ت) ط:1، ت: أحمد يوسف النجاتي وآخرون.

(3) لسان العرب، ابن منظور، 161/13.

(4) التفسير البسيط، محمد بن علي الواحدي، 273/4 (عمادة البحث العلمي-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لا.م، 1430هـ) ط:1.

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 296/4.

"وقوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [النمل: 74]، يقال كننت الشيء وأكننته إذا سترته وأخفيته، أي إنّ ربك يعلم الضمائر والسرائر، كما يعلم الظواهر كما قال: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ [الرعد: 10]، وقال: ﴿ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: 7]"[1].

قال الطبري: "يقول؛ وإنّ ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه، ومكنون أنفسهم، وخفيّ أسرارهم"[2]، وقال القرطبي في تفسيره لمعنى (أكننتم) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة: 235]، قال: "معناه سترتم وأضمرتم من التزوّج بها بعد انقضاء عدَّتها؛ والإكنان: الستر والإخفاء؛ يقال: كننته وأكننته بمعنى واحد، كننته أي صنته حتى لا تصيبه آفة...وأكننته أسررته وسترته"[3].

ثانيا: الفرق بين الإكنان والسرّ:

"أن معنى كننته صنته والموضع الكنين هو المصُون وذلك أنه يكون كنينا وإن لم يكن مستورا وقيل: الدرّ المكنون لأنّه في حق يُصان فيه، وجارية مكنونة في الحجاب أي: مصونة؛ والبيضة ليست بمستورة وإنما هي مصونة عن الترجرج والانكسار، واكتننت الشيء في نفسي إذا صنته عن الأداء، ودخلت فيه الألف واللّام على معنى جعلت له كذا، وفي القرآن: ﴿ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ [النمل: 74]"[4].

وعليه فأهمّ الفروق بين السرّ و الإكنان هي كالآتي:

1 – معنى الإكنان الحقيقي هو الصيانة، أمّا السرّ فإنّ معناه اللغوي الحقيقي هو الستر والغطاء وكلّ مستور مصون وليس كلّ مصون مستور.

2 – أُستُعير الإكنان إلى معنى السرّ وأصبح من المعاني القريبة لها لأنّهما يشتركان في معنى الصيانة لأنّ كلّ مستور مصون كما ذكرت سابقا، فأُسِرُّ الأمر لأنّي أُريد صيانته.

(1) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، 16/20.
(2) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، 393/19.
(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 148/4.
(4) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص:287.

الفرع الثاني: مفهوم الخبء لغة واصطلاحا والفرق بينه وبين السرّ

أولا: مفهوم الخبء لغة واصطلاحا:

أ – لغة: "خَبَأَهُ (كمنَعَه)، يَخْبَؤُه خَبْأً: سَتَره، كَخَبَّأَهُ تَخْبِئَةً، يُقَال اخْتبأْتُ مِنْهُ أَي: استترت والخَبْءُ: ما خُبِيء وغاب، سُمّي بِالْمَصْدَرِ (كالخَبِيءِ) على فَعيل و(الخَبِيئَة) وجمع الأَخير خَبَايا والخَبْءُ من الأرض: النبات؛ والخَبْءُ من السماء: المطر قال الله تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النمل: 25]، والخَبْءَ كلُّ ما غاب فيكون المعنى: يعلم الغَيْب فِي السَّموات والأرض"[1].

قال الفرّاء: "وقوله: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ مهموز؛ وهو الغيب غيبُ السموات وغيب الأرض"[2].

وفي اللسان: "الخبء: كل شيء غائب مستور، يقال: خبأت الشيء خبأ إذا أخفيته والخبء والخبيء والخبيئة: الشيء المخبوء... والخباء، مدّته همزة: وهو سمة توضع في موضع خفيّ من الناقة النجيبة، وإنما هي لذيعة بالنّار والجمع أخبئة، مهموز، وقد خبئت النّار وأخبأها المخبئ إذا أخمدها"[3].

ب – اصطلاحا: "الخَبْء الخفيّ من الأمور وهو من خبَّأت الشيء"[4].

(1) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، 1/ 205-206.

(2) معاني القرآن، الفرّاء، 291/2.

(3) لسان العرب، ابن منظور، 62/1-63.

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 257/4.

قال تعالى: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [النمل: 25]، الخبء في قوله تعالى هنا: السرّ و الغيب، أي: يعلم ما غاب في السماوات والأرض، و يدلّ عليه قوله بعده: ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ وهو كقوله في هذه السورة الكريمة: ﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [النمل: 75][1]، وتفسير الخبء بالسرّ في الآية، قاله قتادة حيث قال: "الخَبْءُ السرّ"[2].

ثانيا: الفرق بين الخبء والسرّ:

الخَبْء الخفيّ من الأمور فخبء السماء مطرها، وخبء الأرض كنوزها ونباتها، واللّفظة تعمُّ كل خفيّ من الأمور، وبه فكل سرّ هو خبء ومُخبّأ وليس كلّ خَبْء سرّ[3]، والأصل في استعمال السرّ الغطاء والستر ولكنّه جُوِّز إلى غيره أي إلى المعاني؛ والخبء يشمل وبدرجة أولى الأعيان والجثث وكذلك المعاني، لأنّ معناه مرادف لمعنى الإخفاء وهذا الأخير أعم من جميع ما يُقارب معناه، والسرّ يتبع هذه المعاني فتقول أسررت الحديث وليس خبّأته وخبَّأت الخزانة وليس سررتها؛ وكما ذكرنا فليس كلَّ سرّ هو خبء ومستور، فالسرّ قد يتعدّى إلى اثنين عند الإسرار ويخرج عن معناه في كتم الكلام في النفس وهذا عند تعدِيتَه بالهمزة فيحمل معنى الجعل، أمّا الخبء فليس كذلك فما هو مخبأ؛ مستور ومَخفيٌّ إلّا حين خروج الخبء وإظهاره وبهذه الحالة يكون قد خرج عن معناه.

ونخلص من هذه الفروق بنقاط هي كالآتي:

1 – الخبء أعم من السرّ وعليه فكلُّ سرٍّ خبء ومُخبأ وليس العكس.

2 – الخبء يشمل الأعيان والمعاني بينما السرّ فقد جُوِّزَ معناه الأصلي للمعاني دون الأعيان.

3 – السرّ قد يخرج عن معناه الذي يُؤديه، بينما الخبء فليس كذلك فلا يتغيّر معناه إلّا حين زواله أي: عند إظهار المخبّأ.

---

(1) ينظر: تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان، محمد أمين الشنقيطي، ص:1076.

(2) فتح القدير، الشوكاني، 1077/19.

(3) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 257/4.

المطلب الرابع: الباطن والبيات

لفظا (الباطن) و(البيات) هما كذلك من المعاني القريبة الدّلالة من (السرّ) في القرآن الكريم، وتقاربهما هذا من الناحية المجازية، وهو من دقائق النظم والإعجاز القرآني في استعمالاته وسياقاته المُدَلِّلة.

الفرع الأول: مفهوم الباطن لغة واصطلاحا والفرق بينه وبين السرّ

أولا: مفهوم الباطن لغة واصطلاحا:

أ – لغة: بطن البَطنُ: خلاف الظهر، بِطَانَةُ الثوب: خلاف ظِهارته، بَطُنَ الشيء بطونا خفي ومن فلان وبه صار من بطانته؛ والباطنة من الرجل سريرته ومن الحيوان رجعه، والوادي والبيت بطناً توسطه وجال فيه، وبَطْنانُ الجَنَّةِ: وسَطُها، والباطن من الأرض ما اطمأن وانخفض والجمع أبطنة وبواطن، وبَطَّنْتُ الثوب تَبْطِيناً، إذا جعلتَ له بطانة وبَطَنْتُهُ: ضربتُ بَطْنَهُ وبَطَنْتُ الواديَ: دخلتُه وبَطَنْتُ هذا الأمرَ: عرفت باطِنَهُ، ومنه الباطِنُ في صفة الله ﷻ ومعناه[1].

ب – اصطلاحا: الباطن باطن الشيء وجوفه، "ثمّ أُستعير لمن يخصّه الرجل باطلاع على باطن أمره"[2]، وهو ما لا يطّلع عليه الناس وما فُعل في خفية، ويقع في السرّ[3].

قال تعالى: ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ [الأنعام: 120]، "قال مجاهد: معصيته في السرّ والعلانية، وقال قتادة: قليله وكثيره سرّه وعلانتيه"[4].

قال الشوكاني: "الباطن ما كان لا يظهر كأفعال القلب وقيل ما أعلنتم وما أسررتم"[5].

---

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، 2079/5-2080. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ص:62.

(2) التوقيف على مُهمّات التعاريف، المناوي، ص:79.

(3) ينظر: التحرير والتنوير، 37/8. البحر المحيط، أبو حيان، 214/4.

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 223/3.

(5) فتح القدير، الشوكاني، 444/8.

وقوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: 151]، وما بطن أي: "ما أسرّ"[1]، "قال قتادة: يعني سرّها وعلانيتها، قال وكانوا يُسِرُّون الزّنا بالحرّة ويُظهِرونه بالأمة"[2]، وهو كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: 33].

ثانيا: الفرق بين السرّ والباطن:

السرّ أخصّ من الباطن: لأنّ السرّ من جملة ما بطن علمه ولم يظهر لك، شأنه شأن المخفيات من الأمور ومكنوناتها، تُبطِن الشيء إذا أسررته وأخفيته، فكلّ باطن سرّ وليس كلّ سرّ هو باطن وبطانة، ومن أسماء الله الحسنى الظاهر والباطن وفي التنزيل العزيز: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: 3]، أي: أنّه سبحانه العالم بالسرائر والخفيات والمحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم، فلا يدركه بصر ولا يحيط به وهم ومن كل شيء داخله، كعلمه بكلّ ما هو ظاهر للخلق[3]، ويشتركان في أنّ كلّ منهما يحمل معنى الإضمار والإخفاء وكليهما ضدّ العلانية والظهور.

وتتجلى أهم الفروق بين الباطن والسرّ فيما يلي:

1 – السرّ أخصّ من الباطن والأخير أعم منه فليس كل باطن سرّ بينما كلّ سرّ هو باطن غير ظاهر.

2 – السرّ والباطن كلاهما يشتركان في معنى الإخفاء.

(1) فتح القدير، الشوكاني، 457/8.

(2) معاني القرآن، النحاس، 517/2 (جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ) ط:1، ت: محمد علي الصابوني.

(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 13/ 54-55.

الفرع الثاني: مفهوم البيات لغة واصطلاحا والفرق بينه وبين السرّ

أولا: مفهوم البيات لغة واصطلاحا:

أ – لغة: "البائت والبَيُّوت الغابُّ، يقال: خبز بائت، وبات الرجل يَبِيتُ ويَبَات بيتوتة وبات يفعل كذا إذا فعله ليلا، وبيَّت العدوّ أوقع بهم ليلا والاسم البِيات، وبيَّت أمراً دبّره ليلاً ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ [النساء: 108]"[1].

ب – اصطلاحا: قال الزجاج: "كل ما فُكِّر فيه أو خِيض فيه بليلٍ فقد بُيِّت"[2]، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ ﴾ [النساء: 81]، "بيَّت هنا بمعنى قدَّر أمراً في السرّ وأضمره، لأنّ أصل البَيَات هو فعل شيء في الليل، والعرب تستعير ذلك إلى معنى الإسرار، لأنّ اللّيل أكتم للسرّ ولذلك يقولون هذا أمر قُضي بليلٍ، أي: لم يطّلع عليه أحد"[3]، فقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ ﴾، أي: "يكتبه في جمله ما يوحى إليك فيُطلعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن مكرهم يخفى عليكم"[4].

ثانيا: الفرق بين السرّ والبيَات:

البيات من الألفاظ القريبة المعنى للسرّ، لكنّ السرّ مستعمَلٌ في معناه وموضعه الحقيقي بينما البيات أو التبييت فقد أُستُعير من معناه الحقيقي إلى معنى الإسرار والإخفاء كما أوضحنا سالفا؛ فهما يتّفقان كغيرهما من الألفاظ السابقة في معنى الإخفاء والإضمار وعدم الظهور والإعلان ولكنّ الفرق بينهما هو أنّ البيات يُطلق على كلّ ما يدَبّر ليلا ويُفعل فيدخل في جملة ما يُتَبيَّت الأعمال والأقوال، والسرّ من جملة ما يُبَيَّت وعليه فالبيات أعمّ من السرّ وهذا الأخير أخصّ وأدقّ منه.

(1) مختار الصحاح، الرازي، ص:42.

(2) معاني القرآن وإعرابه، أبو اسحاق الزجاج، 101/2.

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 136/5.

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، 207/2.

ومن الفروق التي استطعت إحصائها هاهنا:

1 – يشترك كلّ من السرّ والبيات في معنى الخفاء والإضمار.

2 – تختلف لفظة البيات عن السرّ في أنّها مستعارة لمعنى السرّ، وهذا الذي جعلها قريبة لمعنى السرّ ألا وهو معناها الحقيقي وهو المبيت الذي يحمل معنى السكون والهدوء الليلي.

الخلاصة:

بعد البحث في أهم المفردات القريبة من كلمة السرّ والتي أحصيتها كالآتي: (الكتمان، النجوى، الإخفاء، الغيب، الإكنان، الخبء، الباطن، البيات)، أستنتج من جملة الفروق السابقة بين السرّ وكلٌّ من هذه المفردات ما يلي:

1 – تتّحِد كلمة السرّ وكل من الألفاظ القريبة منها في معنى الإخفاء.

2 – الإخفاء هو الخليّة الكبرى التي تحوي وتشمل جُلّ هذه المفردات والسرّ من بينها.

3 – الكلمات الأعم من السرّ هي: (الإخفاء، الكتمان، الغيب، الخبء، الباطن).

4 – والمفردات الأخصّ من السرّ هي: النجوى.

5 – الألفاظ ذات الفروق المجازية لكلمة السرّ هي: (الإكنان، الخبء، البيات).

6 – المعاني الأشد قرباً في الدلالة على معنى السرّ هي: (الإخفاء، النجوى، الكتمان).

المبحث الثّالث: الوجوه والنظائر لكلمة السرّ

كما ذكرنا سابقا فإنّ كلمة السرّ في القرآن الكريم جاءت على عدة اشتقاقات وتصريفات ولم يتوقف الأمر فيها على هذه الأخيرة بل كان لها عدة وجوه ونظائر؛ وسنذكر هنا مختلف الوجوه لكلمة السرّ في القرآن الكريم مرفقة بنظائرها.

المطلب الأوّل: السرّ بمعناه الحقيقي

ورد السرّ في القرآن الكريم على أوجه من بينها السرّ بمعناه الحقيقي أي السرّ "خلاف الإعلان"[1]، والنظائر على هذا المعنى هي:

1- قوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة: 77].

يقال: أسرَّ الشيء إذا أَخْفاه، وأعلنه إذا أظهره[2]، ومنه كذلك قوله: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [يس: 76].

2 - وقوله: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: 7]، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الفرقان: 6]، السرّ ما أضمره الإنسان في نفسه[3].

3 - وقوله: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ﴾ [الزخرف: 80].

قال الزمخشري: "فإن قلت: ما المراد بالسرّ والنجوى؟ قلت: السرّ ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال والنجوى: ما تكلموا به فيما بينهم"[4]، قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: 3].

والنظائر لهذا المعنى كثيرة جدّاً في القرآن الكريم، ولم أذكرها جميعها، حتى لا أُطيل فيها وتَجَنُّبا في ذلك للإطناب، وهذا الوجه والنظائر له، هو الأكثر ورودا في القرآن الكريم.

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص:171.

(2) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، 436/1.

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 16/14.

(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، 265/4.

المطلب الثاني: السرّ بمعنى الإخفاء والكتمان

خرجت كلمة السرّ عن معناها الحقيقي الذي هو(ضدّ الإعلان) إلى وجوه ومعاني أخرى حلّت محلّها في الكلام وأدّت وظيفته في السياق، من بين هذه المعاني معنى الإخفاء والكتمان، والتفصيل كالآتي:

"السرّ يعنى به: الإخفاء"[1]؛ جاء السرّ في القرآن الكريم بهذا المعنى في عدة مواضع وجُلّها بصيغة (أسرّوا) على وزن (أفعلوا)، "وأَسَرُّوا من الإسرار بمعنى الإخفاء والكتمان، يقال: أسرّ فلان الحديث أي: خفض صوته به"[2]، ونظائره هي:

1 – قال تعالى: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾ [سبأ: 33]، قال الشوكاني في تفسيره لمعنى (أسرّوا) في الآية الكريمة: "والضمير في قوله: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾، راجع إلى الفريقين أي: أضمر الفريقان النّدامة على ما فعلوا من الكفر وأخفوها عن غيرهم، أو أخفاها كل منهم عن الآخر مخافة الشماتة، وقيل: المراد بأسروا هنا أظهروا لأنّه من الأضداد يكون تارة بمعنى الإخفاء، وتارة بمعنى الإظهار"[3].

واستدلّ على هذا المعنى (الإظهار) بقول امرئ القيس[4]:

تجاوَزْتُ أحْراسًا إليها ومَعْشَرًا ... عليّ حِراصًا لو يُسرّونَ مقتَلي[5].

---

(1) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، عبد الله الحسين بن محمد الدّامغاني، ص:269 (دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، د.ت) لا.ط، ت: عربي عبد الحميد علي.

(2) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، 85/7 (دار نهضة مصر، الفجالة–القاهرة، 1998م) ط:1.

(3) فتح القدير، الشوكاني، 1199/22.

(4) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، شاعر جاهلي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، سنة (496م) نشأ في قبيلة كندة قتل والده وعزم على الثأر لمقتله فانتقل لذلك إلى الكثير من المناطق منها بادية الشام ثمّ إلى قيصر الروم في القسطنطينية، ووافته المنية بسبب قروح أصابته في جسمه سنة (545م) جمع بعض ما ينسب إليه من الشعر في ديوان صغير وكثر الاختلاف في ما كان يدين به، وهو أول من وقف على الأطلال وأول من ورد النظم وشعره مطبوع بومضات فنية تتجلّى فيها الصورة الفنية بإشارة موجزة مُعبّرة. ينظر: معجم الشعراء الجاهليين عزيزة فوال بابتي، ص:32–33 (دار صادر، بيروت–لبنان، 1998م) ط:1.

(5) ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس، ص:36 (دار المعرفة، بيروت، 1425هـ–2004م) ط:2، ت:عبد الرحمن المصطاوي.

ثمّ ذكر المعنى الثالث لكلمة (أسروا) في الآية الكريمة فقال: "وقيل معنى أسروا الندامة تبيّنت الندامة في أسرة وجوههم"[1]، وهو كقوله ﷻ: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [يونس: 54].

فعندما تجيء لفظة (أَسَرُّوا) بمعنى أخفوا، فهي حينئذ من السرّ، وحينما تجيء بمعنى أظهروا فهي حينئذ من أسارير الوجه[2]؛ أمّا جواز أن يكون معنى قوله: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ [يونس: 54]، أظهروها، "فالإخفاء والإسرار قد توجهُّهما العرب إلى معنى الإظهار"[3].

ومنهم أبو عبيدة حيث قال: "(وأسروا) من حروف الأضداد، أي أظهروا"[4].

وأنشد قول الفرزدق[5]:

فَلَمَّا رَأَى الحَجَّاجُ جَرَّدَ سَيْفَه ... أَسَرَّ الحَرُورِيُّ الذِي كَانَ أَضْمَرَا[6].

وذلك بدلالة قوله تعالى: ﴿ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنعام: 27].

ونفى الراغب الأصفهاني هذا القول الذي يتمسك بأن الإسرار في الآية الكريمة يعنى بها الإظهار وليس الإخفاء بدليل قوله تعالى: ﴿ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنعام: 27]، فقال: وليس كذلك لأنّ النّدامة التي كتموها ليست بإشارة إلى ما أظهروه من قوله: ﴿ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾"[7].

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، 1199/22.

(2) ينظر: محرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 125/3.

(3) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، 290/18.

(4) مجاز القرآن، أبو عبيدة، 34/2 (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ) ط:1، ت: محمد فواد سزگين.

(5) همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية الدارمي التميمي، ولد في أرض كاظمة لبني تميم، شاعر من شعراء العصر الأموي، كنيته أبو فراس وَإِنَّمَا سمي الفرزدق لِأَنَّهُ وذلك لغلظته وقصره –فقد، أشبه وَجهه بالخبزة وَهِي فرزدقة– اشتهر بشعر المدح والفخرُ وَشعرُ الهجاء، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، عاش في البصرة وتوفي فيها سنة (110هـ). ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 462/1 (دار الحديث، القاهرة، 1423هـ) لا.ط، ت: أحمد محمد شاكر. الأعلام، الزركلي، 93/8.

(6) لسان العرب، ابن منظور، 357/4.

(7) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص:172.

كما رُدّ البيت الذي استشهد به أبو عبيدة، قال شمر[1]: "لم أجد هذا البيت للفرزدق وما قاله غير أبي عبيدة في قوله: "وأسروا الندامة"، أي: أظهروها...ولم أسمع ذلك لغيره"[2].

وقال الأزهري[3]: "وأهل اللغة أنكروا على أبي عبيدة أشد الإنكار"[4].

وإنما المراد من قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أخفوها، قال ابن عاشور: "فقد أسرّ الندامة، أي: قصرها على سِرّه فلم يظهرها بإظهار بعض آثارها"[5].

وقال الآلوسي: "والإسرار الإخفاء أي أخفوا النَّدامة أي: الغمّ والأسف على ما فعلوا من الظلم، والمراد إخفاء آثارها كالبكاء وعض اليد وإلا فهي من الأمور الباطنة التي لا تكون إلا سرا وذلك لشدّة حيرتهم وبهتهم لمّا رأوا العذاب"[6].

وتفسير (أسروا) أنّها بمعنى أخفوا هو الصواب والأرجح لأنّه قول أغلب جمهور المفسرين.

قال الطبري: "وأسرّوها: أخفوها وكذلك قال الزجاج، وهو قول المفسرين"[7].

وقال الواحدي: "﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ﴾ أي: أخفى الرؤساء في الكفر النّدامة من الذين أضلوهم، وستروها عنهم، هذا قول عامة المفسِّرين وأهل التأويل"[8].

---

(1) أبو عمرو شِمر بن حمدُويه الهروي اللّغوي الأديب، رحل إلى العراق، فأخذ عن ابن الأعرابي والفرَّاء والأصمعي وأبي حاتم، وغيرهم، وكتب الحديث وألف كتاباً كبيراً في اللّغة ابتدأه بحرف وله أيضاً "غريب الحديث" توفي رحمة الله عليه سنة(255هـ). ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، جلال الدين السيوطي، 4/2 (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، لا.م، 1384هـ-1964م) ط:1، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. معجم الأدباء-إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب-، ياقوت الحموي، 1421/3.

(2) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، 291/18.

(3) محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح الأزهري اللّغوي الأديب الهروي الشافعي أبو منصور، ولد سنة (282هـ) وكان رأسا في اللغة، أخذ عن الهروي صاحب الغريبين وله من التصانيف: التهذيب في اللّغة، تفسير ألفاظ مختصر المزني، التقريب في التفسير، شرح شعر أبي تمام، الأدوات، وغير ذلك،كان عارفا بالحديث، عالي الإسناد، توفي عليه رحمة الله(370هـ). ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغوين النّحاة، السيوطي،19/1.

(4) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، 291/18.

(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 198/11.

(6) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، 130/6.

(7) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، 291/18.

(8) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، 550/2 (دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1415هـ-1994م) ط:1، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون.

2 – قوله ﷻ: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [الأنبياء: 3].

قال أبو حيان الأندلسي: "والنّجوى من التّناجي ولا يكون إلَّا خُفية فمعنى (وأسرّوا) بالغوا في إخفائها أو جعلُوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنّهم مُتناجُون"[1].

وهو كقوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾ [طه: 62].

3 – قوله: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك: 13]، "أي: سواء أخفيتم كلامكم أو جهرتم به، فالله عليم به، يعلم بما يخطر في القلوب وما تكنّه الضمائر، لا يخفى عليه منه خافية"[2]، (فأسِرّوا قولكم)، أي: اجعلوه خفيّاً، واكتموه.

4 – قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴾ [محمد: 26]، عَلِم إسرارهم، "أي: إخفاءهم"[3] ما يُسِرّون في أنفسهم، وهو كقوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ [الرعد: 10]، أسرّ القول: "أي أخفاه في نفسه"[4].

5 – قوله: ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ﴾ [يوسف: 19]، أي: أخفوه، وعاملوه كأنه بضاعة[5].

(1) البحر المحيط، أبو حيان، 275/6.

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، 21/29.

(3) فتح القدير، الشوكاني، 1377/26.

(4) إعراب القران الكريم وبيانه، محي الدين درويش، 90/5 (دار اليمامة–دار ابن كثير، دمشق– بيروت، دار الإرشاد حمص–سورية، 1412هـ–1992م) ط:3.

(5) ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، 601/2.

المطلب الثّالث: السرّ بمعنى النكاح

من المعاني التي حملتها لفظة السرّ إضافة إلى معناها الحقيقي ومعنى الإخفاء اللذان ذكرتهما في المطلبين السابقين، معنى النكاح فقد جاءت كلمة السرّ بمعنى النّكاح في قوله تعالى: ﴿ لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ [البقرة: 235]، فكُنّي عن النّكاح بالسرِّ من حيث إنَّه يخفى، وعليه فقوله ﷻ: ﴿ لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ [البقرة: 235]، أي: نكاحا[1]، أي: لا يقول الرجل لهذه المعتدة تزوجيني.

وعُبِّر بالسرّ الذي هو كناية عن الوطء عن عقد النكاح، قال البيضاوي: "﴿ لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾، نكاحاً أو جماعاً ، عُبِّر بالسرّ عن الوطء لأنه مما يسر ثم عن العقد لأنه سبب فيه"[2]، ثمّ استشهد البيضاوي ببيت شعري للأعشى وهو قوله:

وَلا تَقْرَبَنّ جَارَة إنّ سِرّهَا ... عَلَيكَ حَرَامٌ، فانكِحَنْ أوْ تأبَّدَا[3].

وذهب الطبري إلى أنّ السرّ هنا الزنا، أي: لا يكون منكم مواعدة على الزنا في العدة ثمّ التزوج بعدها، فقال: "وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، تأويل من قال: "السرّ، في هذا الموضع الزنا، وذلك أن العرب تسمي الجماع وغشيان الرجل المرأة (سرّا)؛ لأنّ ذلك مما يكون بين الرجال والنساء في خفاء غير ظاهر مطلع عليه فيسمى لخفائه (سرّا)"، مُستشهدا ببيت شعري لرؤبة بن عجاج حيث قال:

فَعَفَ عَنْ أَسْرَارِها بَعْدَ العَسَقْ ... وَلَمْ يُضِعْهَا بَيْنَ فِرْكٍ وَعَشَقْ[4].

---

(1) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادى، 3/207-208 (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية -لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ-1996م) ط:3، ت: محمد علي النجار.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 146/1 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ) ط:1، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي.

(3) ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، ص:137 (مكتبة الآداب-المطبعة النموذجية، الجماميز، د.ت) لا.ط، ت: محمد حسين.

(4) ديوان رؤبة بن العجاج، ص:104.

بينما ابن عطية لم يزعم ذلك وفرّق بين الأمرين (النكاح أو الجماع والزنا)، وبيّن أنّ مقتضى الآية في معنى قوله: ﴿ سِرًّا ﴾ لا يقتضي الزنا.

فقال: "ومن الشواهد قول آخر:

أَخَالَتُنَا سِرُّ النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ ... عَلَيَّ وَتِشْهَادُ النَّدَامَى مَعَ الخَمْرُ

فقرينة هذا الشعر تعطي أنه أراد تحريم جماع النساء عموما في حرام وحلال حتى ينال ثأره، والآية تعطي النهي عن أن يواعد الرجل المعتدة أن يطأها بعد العدة بوجه التزويج، وأمّا المواعدة في الزنى فمحرم على المسلم مع معتدة وغيرها"[1].

"وذهب ابن عباس وابن جبير ومالك وأصحابه والشعبي ومجاهد وعكرمة والسدي وجمهور أهل العلم إلى أن المعنى لا توافقوهن بالمواعدة والتوثق وأخذ العهود في استسرار منكم وخفية فسِرًّا على هذا التأويل نصب على الحال، أي: مستسرين"[2].

وعليه فالسرّ في الآية الكريمة: صفة لموصوف محذوف، أي: لا تواعدهن وعدا سرِّيا، وأنّ النّهى هنا مُنصب على كل مواعدة سرِّية، يقال فيها كل ما يُنهى عنه أو يُستحيا منه في العلن لقبحه أو لأنّ أوانه لم يحن بعد، إذ السرِّية أو الخلوة بين الرجل والمرأة لا تؤمَّن مزالقها[3].

وفي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يخلون أحدكم بامرأة فإنّ الشيطان ثالثهما**»[4]، وهذا هو القول الراجح.

خلاصة المقول في معنى كلمة (السرّ) في الآية الكريمة: بعد الخوض في أقوال العلماء والمفسرين في المعنى الذي عناه قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿ **لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا** ﴾ اتّضح لي بأنّ أقوال العلماء في معنى السرّ في الآية الكريمة يدور حول المعاني الآتية:

1 - النكاح

2 - الجماع

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 316/1.

(2) المصدر نفسه: 316/1.

(3) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد طنطاوي، 538/1 (دار نهضة مصر، الفجالة-القاهرة، 1997م) ط:1.

(4) أخرجه أحمد في مسنده، مسند: الخلفاء الراشدين، مسند: عمر ابن الخطاب ﷺ، رقم الحديث: 269/1141، قال الألباني: (حديث صحيح).

3 – الزنا

4 – المواعدة وأخذ المواثيق في خفية واستسرار، وهو القول الراجح.

5 – الموافقة على المواعدة بأخذ العهود والمواثيق في خفية واستسرار، وهذا هو القول الراجح لأنّه قول جمهور أهل العلم وهو القول الأقرب لمعنى الآية.

المطلب الرابع: السرّ بمعنى الإفضاء والإخبار

وردت كلمة السرّ في القرآن الكريم إضافة على ما ذُكر فيها من وجوه سابقة بمعنى الإخبار والإفضاء، فمعنى قولك أَسَرّ إلى فلان حديثا، أي: أَفضى به إليه في خفية[1].

والنظائر لهذا المعنى في موضعين من القرآن الكريم وهما:

1 – قوله تعالى: ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ ﴾ [الممتحنة: 1].

ومعنى ذلك: "تُطلعون على ما تُسِرّون من مودّتهم، وقد فُسّر بأَن معناه: تظهرون، وهذا صحيح؛ فإِنَّ الإِسرار إِلى الغير يقتضى إظهار ذلك لمن يُفضَى إليه بالسرّ، وإِن كان يقتضى إِخفاءه من غيره، فإِذًا قولك: أَسَرّ إِليّ فلان يقتضى من وجه الإِظهار، ومن وجه الإِخفاء"[2].

فقوله: "﴿ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾، أي: تفضون إليهم بمودتكم سراً"[3]، فحُمِلت بذلك لفظة: (تسرون) في الآية الكريمة على معنى الإخبار، والإعلام والإفضاء في خفاء.

2 – وقوله: ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا ﴾ [التحريم: 3].

قال ابن عاشور: "وأسرّ فعل مشتق من السرّ فإن الهمزة فيه للجعل، أي: جعله ذا سرّ يقال: أسرّ في نفسه إذا كتم سرّه ويقال: أسرّ إليه إذا حدّثه بسرّ فكأنه أنهاه إليه، ويقال: أسرّ له إذا أسرّ أمراً لأجله وذلك في إضمار الشرّ غالبا، وأسرّ بكذا، أي أخبر بخبر سرّ"[4].

(1) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، 206/3.

(2) المصدر نفسه، 206/3.

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، 467/3.

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 351/28.

فقوله: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ﴾ يعني: "أخبر بما يراد كتمانه عن غير المخبر أو سأله عدم إفشاء شيء وقع بينهما وإن لم يكن إخباراً وذلك إذا كان الخبر أو الفعل يراد عدم فشوه فيقوله صاحبه سرّا والسرّ ضد الجهر، قال تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [التغابن: 4]، فصار (أسرّ) يطلق بمعنى الوصاية بعدم الإفشاء"[1]، فيُعلم من هذا أنّ معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾ حملت معنى الإخبار بما يُراد كتمانه، أي: معنى الوصاية والأمانة فالسرّ هاهنا إخبار وطلب للاستئمان، وإفشاءه يعتبر خيانة[2].

وعليه: فالسرّ في الآيتين الكريمتين يُعنى بهما الإفضاء والإخبار، أمّا الآية الأولى: ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ فجاءت على الوجه المذكور ولكن في خفاء، أمّا الآية الثانية: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾ فأسرّ جاءت بمعنى الإفضاء والإخبار عن أمر ويُراد منه الكتمان، وعلى هذا فالإسرار ها هنا من الأمانة، لأنّ التحدّث في ما أُفضِي من وطُلِب فيه الكتمان يعتبر خيانة ومن هذا ملامة الله لبعض أزواج النبي ﷺ على التّحَدث وإفشاء ما طلب منها نبي الله كتمانه.

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 351/28.

(2) ينظر: المصدر نفسه، 352/28.

المطلب الخامس: الإنفاق المتطوع به

الوجه الخامس: "السرّ... فيما أُنفق تطوعاً"[1]، أي: "صدقة التّنفل"[2].

والنّظائر على هذا المعنى:

1 – قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ [البقرة: 274].

"والسرّ: صدقة التّنفل والعلانية: المفروضة"[3].

2 – ﴿ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ [إبراهيم: 31]، أي: "صدقة التّنفل"[4].

3 – ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ [الرعد: 22].

4 – ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ [فاطر: 29].

وما يمكن استنتاجه هاهنا أنّ الوجوه والنظائر المتعلِّقة بلفظة (السرّ) في القرآن الكريم محصلةً في خمسِ وجوه وهي:

1 – السرّ ضدّ الإعلان.

2 – الإخفاء.

3 – النكاح على قول من الأقوال وإلاّ فالقول الصائب هو أنّ السرّ في الآية التي ذكرتها يُعنى به الإخفاء والاستسرار.

4 – الإخبار.

5 – صدقة التطوع.

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 309/3.

(2) المصدر نفسه، 339/3.

(3) جواهر الحسان في تفسير القرآن، أبي زيد الثعالبي، 383/3 (دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، 1418هـ–1997م) ط:1، ت: محمد علي عوض، عادل أحمد عبد الموجود.

(4) فتح الرحمن في تفسير القرآن، أبو اليُمن العُليمي، 523/3 (دار النوادر، لا.م، 1430هـ–2009م) ط:1، ت: نور الدين طالب.

الفصل الثاني:

السياقات التي ورد فيها السر في القرآن الكريم.

وفيها ثلاثة مطالب وهي:

المبحث الأول: ورود كلمة السر في سياق ذكر الأحكام الشرعية.

المبحث الثاني: السر في سياق مخاطبة النبي ﷺ .

المبحث الثالث: ورود كلمة السر في سياق الآداب.

الفصل الثاني: السياقات التي ورد فيها السرّ في القرآن الكريم

بعد البحث والاستقصاء الذي قمت به حول ورود لفظ(السرّ) في القرآن الكريم اتّضح لي أنّ السرّ في القرآن الكريم ورد في سياقات مختلفة، ولبّ هذا الفصل يتركّز على إيراد هذه السّياقات، وسيتَّضح ذلك في المباحث الآتية:

المبحث الأوّل: ورود كلمة السرّ في سياق ذكر الأحكام الشرعية

من بين السّياقات التي جاءت فيها كلمة السرّ في القرآن الأحكام الشرعية وفي هذا المبحث سأقوم بدراسة السّياق الذي وردت فيه هذه الأحكام المتعلقة بالآية المدروسة.

المطلب الأوّل: ورود كلمة السرّ في سياق خطبة المعتدّة

قال تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۖ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ [البقرة: 235].

الفرع الأوّل: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها

أ – مناسبة الآية لما قبلها:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [البقرة: 234].

قال ابن عاشور: "عطف على الجملة التي قبلها، فهذا من الأحكام المتعلقة بالعدّة وقد تضمنت الآيات التي قبلها أحكام عدة الطلاق وعدة الوفاة، وأنّ أمد العدة محترم وأنّ المطلّقات إذا بلغن أجلهن جاز أن يفعلن في أنفسهن ما أردن من المعروف فعُلم من ذلك أنّهن إذا لم يبلغنه لا يجوز ذلك فالتزوج في مدّة الأجل حرام، ولِما كان التحدُّث في التزوج إنما يقصد منه المتحدث حصول الزواج، وكان من عادتهم أن يتسابقوا إلى خطبة المعتدة ومواعدتها، حرصا على الاستئثار بها بعد انقضاء العدة فبيّنت الشريعة لهم تحريم ذلك ورخصت في شيء منه ولذلك عطف هذا الكلام على سابقه"[1].

قال السيد قطب: "ثم يلتفت السياق إلى الرجال الراغبين فيها (المعتدة) في فترة العدّة فيوجههم توجيهاً قائماً على أدب النفس، وأدب الاجتماع، ورعاية المشاعر والعواطف مع رعاية الحاجات والمصالح: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾ إنّ المرأة في عدتها ما تزال معلقة بذكرى لم تمت وبمشاعر أسرة الميت ومرتبطة كذلك بما قد يكون في رحمها من حمل لم يتبين أو حمل تبين والعدة معلقة بوضعه وكل هذه الاعتبارات تمنع الحديث عن حياة زوجية جديدة، لأنّ هذا الحديث لم يحن موعده، ولأنّه يجرح مشاعر ويخدش ذكريات، ومع رعاية هذه الاعتبارات فقد أبيح التعريض لا التصريح بخطبة النساء، أبيحت الإشارة البعيدة التي تلمح منها المرأة أن هذا الرجل يريدها زوجة بعد انقضاء عدتها"[2].

قال البقاعي: "ولمّا حدّ ﷻ هذه المدة لمنعهن عن الرجال بين أن التعريض بالخطبة ليس داخلاً في المنع فقال: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ ﴾"[3].

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 450/2.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، 255/2 (دار الشروق، القاهرة، 1972م) ط:1.

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، 344/3 (دار الكتاب الإسلامي، 1404هـ 1984م) لا.ط.

بعد عرض أهم أقوال العلماء في مناسبة الآية لما قبلها نستخلص المناسبة في وجوه:

1 – بعد الكلام عن أحكام الطلاق في الآية السابقة عطف ذلك بالكلام عن أحكام خطبة المعتدة حرصا على الاستئثار بالمعتدة بعد الخطبة ولهذا بيّن فيها حرمة الخطبة إلّا على وجه التعريض لا التصريح.

2 – الآية استدراك على ما سبقها فلمّا حدّ الله تعالى للمعتدّة مدة معينة للاعتداد وحرّم عليهن الرجال فيها ناسب ذلك استدراك التعريض بالخطبة وبيّن أنّه ليس داخلا في المنع.

3 – بعد ذكر أحكام الطلاق وماله وما عليه ناسب ذلك بالالتفات بالسياق إلى الرجال الراغبين في المعتدة وبيّن لهم أحكام الله الشرعية لخطبتها المتمثلة في إباحة التعريض بالخطبة لا التصريح بذلك وذلك مراعاة لاعتبارات معينة منها ما يختص بالمعتدة من مراعاة مشاعرها وحالها عند العدّة ومنها ما يختص بحكم تشريعية في حدّ أحكام الخطبة وجب على العبد طاعتها.

ب – مناسبة الآية لما بعدها:

قال تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: 236].

مازال السياق الكريم في بيان أحكام الطلاق وما يتعلق به، فالجملة مستأنفة *استئنافا ابتدائيا ومناسبة موقعها هو أنّه لـمّا جرى الكلام في الآيات السّابقة على الطلاق الذي تجب فيه العدّة وهو طلاق المدخول بهن عرّج هنا على الطلاق الواقع قبل الدخول، وهو الذي في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [الأحزاب: 49][1].

قال البقاعي: "ولما تمت أحكام العدد، وما يتبعها مما حق الرجال فيه أغلب، أتبعها أحكام الأصدقة، ولـمّا كان الكلام قد طال في أحكام الطلاق والموت ولم يذكر الصداق وكان قد ختم تلك الأحكام بصفتي الغفر والحلم وكان الصداق معلوماً عندهم قبل الإسلام اقتضى ذلك السؤال: هل يجب للمفارقة صداق أو هو مما دخل تحت المغفرة والحلم فلا يجب؟ فقيل: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾"[2].

تتجلّى مناسبة الآية لما بعدها في أمرين:

1 – لـمّا تحدّث في الآيات السابقة عن الطلاق الذي تجب فيه العدّة، استأنف الكلام هاهنا للابتداء بالكلام عن الطلاق الواقع قبل الدخول.

2 ـ ولـمّا انتهى سبحانه من أحكام العدد وما تبعها من حقوق الرجال أتبع الكلام في ذلك عن أحكام الأصدقة.

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 457/2.

*الاستئناف الابتدائي: استأنف الشيء إذا أتنفه، أي أخذ أوّله وابتدأه، والاستئناف الابتدائي يكون في الجملة الواقعة أثناء الكلام، المفتتح بها النطق بأداة من أدوات الاستئناف الذي تمثّل في الآية الكريمة التي أدرسها في (واو الابتداء) وتحمل في ثناياها معنى جديد منقطع عمّا قبلها، وإن ارتبط بينهما معنى. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 14/9. الجملة الاستئنافية في القرآن الكريم دراسة تحليلية لغوية، لطفي عواد الأسعد، ص:18، رسالة ماجستير في اللغة العربية (تخصص لغة ونحو) في كلية الآداب والعلوم في جامعة آل البيت، نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ: 1997/7/15.

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، 35/3-352.

الفرع الثاني: المعنى الإجمالي للآية

تضمّنت الآية الكريمة: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ بيان حكم خطبة المعتدّة من طلاق أو وفاة ورفع الحرج في التعريض بالخطبة دون اللّفظ الصّريح المحرّم وبيّنت كذلك أنّ ﷻ عليم بما تُكنّه الصدور والأنفس فهو كاشف وبصير عن نفسية الرجل وما يجول في خاطره فقال: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ ﴾ كما تضمّنت تحريم عقدة النّكاح على المعتدّة ما لم تنته عدّتها وخُتمت بوعظ الله للمؤمنين فأمرهم بأن يؤمنوا ويعلموا بأنّه سبحانه عالم بالسرائر والبصائر لا يخفى عليه شيء وعلى المؤمن أن يتّعظ من هذا بالحذر من مخالفة أوامره ونواهيه[1].

الفرع الثّالث: الأحكام المستنبطة من الآية

تضمّنت الآية الكريمة أربعة أحكام وهي: إباحة التعريض والإكنان، وتحريم التصريح في الخطبة والمواعدة فيها، والحكم الذي سأدرسه هو فيما اختصّ بقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾، والتفصيل كالآتي:

النساء في حكم (الخِطْبة) على ثلاثة أقسام: أحدها: التي تجوز خطبتها (تعريضاً وتصريحاً) وهي التي ليست في عصمة أحد من الأزواج، وليست في العدّة لأنه لمّا جاز نكاحها جازت خطبتها، والثانية: التي لا تجوز خطبتها (لا تصريحاً ولا تعريضاً) وهي التي في عصمة الزوجية فإنّ خطبتها وهي في عصمة آخر إفساد للعلاقة الزوجية وهو حرام وكذلك حكم المطلّقة رجعياً فإنّها في حكم المنكوحة، والثالثة: التي تجوز خطبتها (تعريضاً) لا (تصريحاً) وهي المعتدة في الوفاة وهي التي أشارت إليها الآية الكريمة المدروسة[2]، ومثلها المعتدة البائن المطلّقة ثلاثاً فيجوز التعريض لها دون التصريح.

(1) ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، 224/1.

(2) ينظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، 376/1-377 (مكتبة الغزالي دمشق، مؤسسة مناهل العرفان-بيروت، 1400هـ-1980م) ط:3، ت: حسن عباس الشربتلي.

ومن صور التعريض أن يقول: إنك لجميلة أو صالحة وغيره من ملامح وإشارات إبداء الإعجاب أو أن يذكر الشخص مآثره أمامها[1]، والتصريح بالخطبة محرّمٌ والدليل على حرمته ما قاله الإمام الشّافعي رحمه الله: "وإذا أذن الله في التعريض بالخطبة في العدة، فبَيِّنٌ أنّه حظر التصريح فيها"[2]، وهذا الاستدلال دلّ عليه *مفهوم المخالفة"[3]، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ **وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا** ﴾"[4].

وقوله: ﴿ **إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا** ﴾ الذي هو الإذن بالتعريض[5]، شريطة أن يكون هذا التعريض حسنا لا فحش فيه كأن يقول: رضيتك؛ إنّ عندي لجماعا يرضي من جومعه، فهذا وإن كان تعريضا كان منهيا عنه لقبحه، وما عُرِّض به ممّا سوى هذا مما تفهم المرأة به أنه يريد نكاحها فجائز له، وكذلك التعريض بالإجابة له كان جائز لها[6]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا** ﴾ هو تحريم للمواعدة التي دلّ عليها النهي، والسرّ في الآية الكريمة يحتمل أن يكون صفة المواعدة على معنى: (ولا تواعدوهن مواعدة سرِّية)، ويحتمل أن يكون صفة للموعود به على معنى (ولا تواعدوهن بالشيء الذي يكون موصوفا بوصف كونه سرّا).

أمّا على التقدير الأول وهو أظهر التقديرين، فالمواقعة بين الرجل والمرأة على وجه السرّ لا تنفكُّ ظاهرا عن أن تكون مواعدة بشيء من المنكرات وفي هذا احتمالات أوّلها: أن يواعدها في السرّ بالنكاح فيكون المعنى أنّ أول الآية إذن في التعريض بالخطبة وآخر الآية منع عن التصريح بالخطبة، وثانيها: أن يواعدها بذكر الجماع والرفث، لأنّ ذكر ذلك بين الأجنبي

(1) ينظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، 374/3-377.

(2) أحكام القرآن، الشافعي، 190/1 (مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت) لا.ط، ت: محمد زاهر بن الحسن الكوثري.

(3) ينظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، 377/3.

*مفهوم المخالفة: هو دلالة اللفظ على ثبوت حكم للمسكوت عنه مخالف للحكم الذي دلّ عليه المنطوق نفيا وإثباتا. ينظر: المهذب في علم أصول الفقه المقارن، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، 1765/4 (مكتبة الرشد الرياض، 1420هـ-1999م) ط:1.

(4) تفسير ابن عثيمين، محمد الصالح ابن عثيمين، 162/3 (دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1421هـ) ط:1.

(5) ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، 224/1.

(6) ينظر: أحكام القرآن، الشافعي، 190،191/1.

والأجنبية غير جائز، قال تعالى لأزواج النبي ﷺ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وثالثها: أن يواعدها بالسرّ على الزنا بقوله كما روي عن الحسن: دعيني أجامعك فإذا أتممتِ عدّتك أظهرت نكاحك، فالله تعالى نهى عن ذلك، وقد طعن الإمام القاضي في هذا الوجه على أنّ المواعدة محرّمة على الإطلاق فحمل بذلك الكلام ما يخص به الخاطب حال العدة أولى، ورابع هذه الوجوه: أن يكون ذلك نهيا عن أن يُسار الرجل المرأة الأجنبية، لأنّ ذلك يورث نوع ريبة فيها، والخامس: هو أن يعاهدها بأن لا يتزوج أحدا سواها، أمّا إذا حملنا السرّ على التقدير الثاني أي: على الموعود به ففيه وجوه كذلك: إمّا السرّ الجماع، أي: لا يصف نفسه لها بالكلام القبيح المنهي عنه، وإمّا أن يكون المراد من السرّ النكاح، وذلك لأن الوطء يسمى سرّا والنكاح سببه وتسمية الشيء باسم سببه جائز.

وما يستنتج من هذا أنّه تعالى أذِن في أوّل الآية بالتعريض، ثم نهى عن المسارّة معها دفعا للريبة والغيبة، فيكون بذلك النهي عن المواعدة سرّا أي المواعدة السرّية بمطلقها وعليه فإنّ الله تعالى حرّم المواعدة السرّية بين الرجل والمرأة المعتدّة ودلّ على ذلك النهي المطلق من قوله تعالى: ﴿ لَّا تُوَٰعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ وأُستثنى من هذا النهي المسارّة بالقول المعروف فقال:

﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾، وذلك أن يعدها في السرّ بالإحسان إليها، والاهتمام بشأنها، والتكفل بمصالحها، حتى يصير ذكر هذه الأشياء الجميلة مؤكدا لذلك التعريض والله أعلم[1].

الفرع الرابع: الهدايات المستنبطة من الآية

"قد أرشدت الآية الكريمة النّاس إلى ما يقرّه الشرع، ويرتضيه الخلق الكريم، ونهت عمّا يتنافى مع تعاليم الإسلام بأسلوب حكيم جمع بين الشدة واللّين، والخوف والرجاء حتى يثوب المخطئون إلى رشدهم ويقلعوا عن خطئهم"[2]، ومن أهمّ الهدايات كذلك:

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 471/6-472 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ) ط:3.
(2) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، 540/1.

1 – حرمة خطبة المعتدة، وجواز التعريض لها بلفظ غير صريح، فحظر صريح الخطبة والمواعدة، وإباحة التعريض بذلك يلوح بصور التعارض، فإن مآل التصريح والتعريض واحد فإذا كان قد حصل بين الخاطب والمعتدة العلم بأنه يخطبها وبأنها توافقه، فما فائدة تعلق التحريم والتحليل بالألفاظ والأساليب، ولأنّ الشارع قصد من كلّ ذلك مفاداً وحيداً وهو حماية أن يكون التعجل ذريعة إلى الوقوع فيما يعطل حكمة العدّة، إذ لعلّ الخوض في ذلك يتخطى إلى باعث تعجل الرّاغب إلى عقد النكاح على المعتدة بالبناء بها فإن دبيب الرغبة يوقع في الشهوة، والمكاشفة تزيل ساتر الحياء فإن من الوازع الطبيعي الحياء الموجود في الرجل حينما يقصد مكاشفة المرأة بشيء من رغبته فيها، والحياء في المرأة أشد حينما يواجهها بذلك الرجل، وحينما تقصد إجابته لما يطلب منها، فالتعريض أسلوب من أساليب الكلام يؤذن بما لصاحبه من وقار الحياء فهو يقبض عن التدرج إلى ما نهى عنه، وإيذانه بهذا الاستحياء يزيد ما طبعت عليه المرأة من الحياء فتنقبض نفسها عن صريح الإجابة، بله المواعدة فيبقى حجاب الحياء مسدولا بينهما وبرقع المروءة غير مكشوفٍ وكلّ ذلك من توقير شأن العدّة فلذلك رخّص في التعريض تيسيرا على الناس، ومنع التصريح إبقاء على حرمات العدة[1].

2 – من الفوائد التي أرشدت إليها الآية كذلك بيان حكم حرمة عقد النكاح على معتدّة قبل انقضاء عدّتها، وهذا من باب أولى ما دام الخطبة محرمة[2].

3 – في وجوب العدّة، وتحريم عقد نكاح المعتدّة حكمة تشريعية تمثلت في "مراعاة لحقوق الزوجية والتعرّف على براءة الرحم من الحمل لئلا تختلط الأنساب"[3].

4 – وجوب مراقبة الله في السرّ والعلن واتقاء الأسباب المفضية بالعبد إلى فعل محرم [4].

خلاصة ما قيل في دراسة الآية الكريمة:

1 – معنى السرّ في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ السرّ بمعناه الحقيقي.

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 454/2.

(2) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، 225/1.

(3) التفسير المنير في العقيدة والمنهج، وهبة الزحيلي، 380/2.

(4) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، 225/1.

2 – تضمّنت الآية حكم النهي المواعدة السرية إلّا على سبيل التعريض الذي لا يحمل في طياته خبثا ومنكرا.

3 – وردت كلمة السرّ في الآية الكريمة في سياق خطبة المرأة المعتدة، وما يتعلق من أحكام خاصة بالسرّ.

4 – بعد الجول في معاني السرّ التي تضمنّها قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ تبيّن لي أنّ السرّ عند العرب تعددّت معانيه ومفرداته فلم يقتصر على الإخفاء والتكتم فقط.

المطلب الثّاني: ورود كلمة السرّ في سياق صدقة التّطوّع

الآيات الكريمة حول الصّدقة عديدة، وكما أظهرنا سابقاً أنّ من المعاني التي وردت فيها لفظة (السرّ) في القرآن (صدقة التطوّع) وهي صدقة السرّ فقد جاءت في عدّة آيات (ذات لفظة السرّ) قد سبق منّا ذكرها، وتجسّدت صدقة السرّ بصورة أوضح في قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: 271].

وسنقوم بذكر السياق الذي أتت فيه كل آية من الآيات بشكل موجز كلٌّ على حدا ومن ثمّ نجمع بينها أثناء بيان الأحكام المتعلقة بصدقة التطوّع وفضلها.

الفرع الأوّل: بيان معنى الآيات والسّياق الذي ورد فيه إنّفاق التطوّع

أولا: قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة: 271].

أ – مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها:

1 – مناسبة الآية لما قبلها:

وتناسب قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [البقرة: 270]، بالآية المدروسة:

ـ أنّه لمّا كان حال الإنفاق المحثوث عليه يختلف بالسرّ والجهر فكان مما يُسأل عنه؛ فقال ﷻ حاثاً على الصّدقة في كلتا الحالتين مع ترجيح الإسرار لما فيه من البعد عن الرياء: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾[1].

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، 99/4.

ـ الآية الكريمة استئناف بياني ناشئ عن قوله: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم ﴾ إذ أشعر تعميم قوله: ﴿ مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ بحال الصدقات الخفية فيتساءل السامع في نفسه هل إبداء الصدقات يعد رياء وقد سمع قبل ذلك قوله: ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: 264]، فهذا الاستئناف يدفع توهمًّا من شأنه تعطيل الصدقات والنفقات، وهو أن يمسك المرء عنها إذا لم يجد بُدًّا من ظهورها فيخشى أن يصيبه الرياء[1].

2 – مناسبة الآية لما بعدها:

ثمّ أعقب ذلك بقوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 272]، فناسب بذلك:

ـ "ذكر صفات مستحقي الصدقة، حتى تقع في موقعها الصحيح وعلى الوجه الذي يُرضي الله تعالى"[2].

ـ ولمّا ألاحت الآيات المتقدمة إلى أصناف المُنفقين فكان منهم الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ومنهم الذين يبطلون صدقاتهم بالمن والأذى، ومنهم الذين يتيممون الخبيث منه ينفقون، ومنهم من يعدهم الشيطان الفقر ويأمرهم بالفحشاء، وكان وجود هذه الفرق مما يثقل على النبي ﷺ، فعقب الله ذلك بتسكين نفس رسوله والتهوين عليه بأن ليس عليه هداهم ولكن عليه البلاغ[3].

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 3/66-67.

(2) التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، 1/158 (دار الفكر، دمشق، 1422هـ) ط:1.

(3) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 3/69.

ب – المعنى الإجمالي للآية:

وردت الآية الكريمة "في مدح صدقتي الجهر والسرّ متى كان المتصدق متّبعا آداب الإسلام وتوجيهاته ومبتعدا عن كل ما يبطل الصّدقات ويحبط الأعمال"[1] مُرَجِّحة من ذلك الإسرار فيها والذي يطلق عليها بصدقة التطوع أو التنّفل أو بصدقة السرّ نظرا لما فيه من البعد عن الرياء وغيره، وهذا ما عليه جمهور المفسرين في أنّ هذه الآية في صدقة التطوّع لا في صدقة الفرض[2]، ومن هنا يمكنني تحديد السياق الذي وردت فيه كلمة السرّ في الآية جليّا وهو أنّ السرّ جاء في سياق: الأحكام والآداب الخاصة بصدقة التطوع وفي الترغيب في إخفاء الصدقات بعدا عن الرياء وأقرب للإخلاص[3].

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ** ﴾ [البقرة: 274].

أ – مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها:

1 – مناسبة الآية لما قبلها:

ـ لمّا بيّن في هذه الآية المتقدمة أن أكمل من تصرف إليه النفقة من هو بين في هذه الآية أن أكمل وجوه الإنفاق كيف هو، فقال: الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم.

ـ ذكر تعالى هذه الآية لتأكيد ما تقدم من قوله: ﴿ **إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ** ﴾ [البقرة: 271].

ـ أن هذه الآية آخر الآيات المذكورة في أحكام الإنفاق، فلا جرم من إرشاد الخلق إلى أكمل وجوه الإنفاقات[4].

(1) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، 622/1.

(2) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، 186/3.

(3) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والمنهج، وهبة الزحيلي، 67/3.

(4) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 71/7.

2 – مناسبة الآية لما بعدها:

ـ لمّا جاءت الآية في تفضيل الإنفاق والصدقة في سبيل الله، وأنّ ذلك يكون من طيب ما كسب، ولا يكون من الخبيث، ناسب ذلك ذكر نوع غالب عليهم في الجاهلية، وهو: خبيث، المتمثل في الربا فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: 275]، وذلك حتى يمتنع من الصدقة بما كان من ربا.

ـ وبما أنّ الصدقات فيها نقصان مال، والرّبا فيه زيادة مال، فاستطرد من المأمور به إلى ذكر المنهي عنه لما بينهما من مناسبة ذكر التضاد، وأبدى لأكل الرّبا صورة تستبشعها العرب على عادتها في ذكر ما استغربته واستوحشت منه كقوله تعالى: ﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الصافات: 65][1].

ب – سبب نزول الآية:

وردت العديد من الروايات في نزول الآية وجُلُّها روايات ضعيفة وموضوعة ولم ثبتث منها سوى ما حدث به ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ قال: في علف الخيل[2]، ويدل على صحة الحديث ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ: «**من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله، وتصديقا لوعد الله كان شبعه وريه وبوله وروثه حسنات في ميزانه يوم القيامة**»[3].

(1) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، 346/2.

(2) ينظر: أسباب نزول القرآن، الواحدي، ص:93 (دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ-1991م) ط:1، ت: كمال بسيوني زغلول.

(3) أخرجه النسائي في سننه، كتاب: الخيل، باب: حب الخيل، (علف الخيل)، رقم الحديث: 3582، 225/6، قال الألباني: (حديث صحيح).

ج – المعنى الإجمالي للآية:

هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ آخر آيات الدعوة إلى الإنفاق فقد جاءت تحمل أعظم بشرى للمنفقين في كل أحوالهم بالليل والنهار سراً وعلانية بأن أجر نفقاتهم مدخر لهم عند ربهم يتسلّمونه يوم يلقونه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدنيا والبرزخ والآخرة[1]، وعليه فالآية عامة في الذين يعمّون الأوقات والأحوال بالصدقة تحرضهم على الخير في إكمال وجوه اللإنفاق[2]، ويفهم من هذا بأنّ كلمة السرّ في الآية الكريمة جاءت في سياق أحكام نفقة التطوع وبدرجة أولى في سياق التحريض على النفقة السرّية كانت أم الجهرية والترغيب فيها عن طريق بيان ثواب المنفقين المسرِّين للصدقة الذين لا يتوالون في الإسراع بإخراجها في جميع أحوالهم وفي أي زمان ومكان كانت.

ثالثا: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: 22].

أ – مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها:

1 – مناسبة الآية لما قبلها:

ـ هذه الآية متعلقة بما قبلها فهي تذكر الصّفات الحميدة لأولي الألباب، المذكورة في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [الرعد: 19]، المثمثلة في: الوفاء بالعهد عدم نقض الميثاق، صلة الرحم ورعاية جميع الحقوق الواجبة لله وللعباد، الخوف من الله الخوف من العذاب، الصبر، إقامة الصلاة، الإنفاق في وجوه الخير؛ فهؤلاء الصنف من الناس سيجزون عند ربهم بالسعادة في الدارين"[3].

(1) ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، 265/1-266.

(2) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 71/7.

(3) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والمنهج، وهبة الزحيلي، 152/13-153-154-155.

ـ كما ذكرنا سابقا فإن من صفات أولي الألباب الذين ذكرتهم الآية الكريمة الوفاء بالعهد فلمّا كان الوفاء بالعهد في غاية الشدّة على النفس، قال تعالى مشيراً إلى ذلك مع شموله لغيره: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾.

2 – مناسبة الآية لما بعدها:

ـ قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴾ [الرعد: 23]، تناسبت هذه الآية وآيات صفات أولي الألباب في أنّ هذه الآية بشرى لمن كان له سلف صالح أو خلف صالح أو زوج صالح ممن تحققت فيهم هذه الصفات أنه إذا صار إلى الجنة لحق بصالح أصوله أو فروعه أو زوجه، وما ذكر الله هذا إلاّ لهذه البشرى[1].

ـ الآية ترغيب وتحريض على التحلّي بهذه الصفات؛ "فمن استجمع هذا الصفات والخصائص فهو الجدير بالحق، البصير به، المهتدي بهداية الله، المستحق لما أعده الله لأهل الحق"[2].

ب – المعنى الإجمالي للآية:

وردت الآية في سياق ذكر صفات أولي الألباب أصحاب عقولٍ وقلوبٍ مُدركة تذّكر بالحق فتتذكر، وتُنبه إلى دلائله فتتفكر، وكان المنفقون مما رزقهم الله من أصحاب هذه الصفات سواء أكان الإنفاق واجبا كالإنفاق على الزوجة والولد والأقارب والفقراء (الزكاة) أم مندوبا كالإنفاق على الفقراء والمحاويج من الأجانب (صدقة التّنفل)[3]، وهذا يدّل على درجة ومكانة أولي العلم والإيمان وعظيم صفة التصدُّق الخَيِّر الذي يكون مبتغاه مرضاة الله فحسب بُعداً عن الرّياء، فنبّه ﷻ على هاتين الخصلتين: العبادة البدنية، والعبادة المالية، المتمثلتان في الصلاة والإنفاق إذ هما عمود الدين، والصبر عليهما أعظم صبر لتكرر الصلوات، ولتعلق النفوس بحب

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 131/13.

(2) الأساس في التفسير، سعيد حوّى، 2741/5 (دار السلام، القاهرة، 1424هـ) ط:6.

(3) ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، 94/13.

تحصيل المال، ونبّه على حالتي الإنفاق، (سرّا وعلانية) فكان المنفق في السرّ تفضّل صدقته في غير الواجبة التي العلانية فيها أفضل[1].

وعليه: فإنّ كلمة السرّ في قوله تعالى: ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ [الرعد: 22]، جاءت في سياق صدقة التطوع في باب وصف المنفقين في السرّ المبتغين مرضاة الله على أنّ صدقة السرّ من صفات أولي الألباب.

رابعا: قوله: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ [إبراهيم: 31].

أ – مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها:

1 ـ مناسبة الآية لما قبلها:

ـ لمّا أمر تعالى الكافرين على سبيل التهديد والوعيد بالتمتع بنعيم الدنيا بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [إبراهيم: 28-30]، أمر المؤمنين في هذه الآية بترك التمتع بالدنيا والمبالغة في المجاهدة بالنفس والمال[2].

ـ بعد دعوة الله للكفار وتذكيرهم بنعم الله التي أنكروها انصرف عنهم إلى موعظة الذين تحدي فيهم الموعظة، الذين يتقبلون نعمة الله ولا يردونها، ولا يستبدلون بها الكفر، وانصرف إليهم ليعلمهم كيف يشكرون النعمة بالعبادة والطاعة والبر بعباد الله.

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 380/6-381.

(2) ينظر: المصدر نفسه، 95/19.

2 – مناسبة الآية لما بعدها:

ـ قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ [إبراهيم: 32]، هنا يفتح كتاب الكون على مصراعيه في ذكر هذه النّعم الكونية المعروضة على الأنظار، ليُذكِّر البشر الذين كانوا في جاهليتهم لا ينظرون ولا يقرؤون ولا يتدبرون بأنّه هو الخالق الرازق المسخِّر الكون كلّه لهذا الإنسان[1].

ـ فلمّا أطال سبحانه الكلام في وصف أحوال السعداء وأحوال الأشقياء، وكانت العمدة العظمى والمنزلة الكبرى في حصول السعادات معرفة الله تعالى بذاته وبصفاته، وفي حصول الشقاوة فقدان هذه المعرفة، لا جرم ختم الله تعالى وصف أحوال السعداء والأشقياء بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته، فذكر هاهنا أنواع عدّة من الدلائل الكونية في ذلك[2].

ب – المعنى الإجمالي للآية:

يفهم من الآية بيان الفرق بين فريقي الكفار والمؤمنين، فكانت الصدقة الخَيِّرة أحد صفات المؤمنين فالإنفاق في سبيل الله، بأداء الزكاة الواجبة، والتطوع بالصدقات المستحبة بإعلان الواجب، وإخفاء التطوع، كما قال تعالى: ﴿ **إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ [البقرة: 271][3].

من دواعي الفروق بين الفريقين ومن أسباب دخول الجنّة ونيل رضا الله تعالى.

وعليه: فكلمة السرّ في الآية الكريمة جاءت في سياق بيان مكانة وعظمة صدقة السرّ وأنّها من بين أد الفروق الخيّرة التي فرّق الله به عباده الكفار الجاحظين لنعمته عن عباده المؤمنين أصحاب الخير والصلاح، فالذين ينفقون ممّا أنعم عليهم ربهم، ويحترزون في إنفاقهم وجه الله لا تفاخرا وتباهيا سرّا "حيث تصان حيث تصان كرامة الآخذين ومروءة المعطين"[4].

(1) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 2106/13.

(2) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 96/19.

(3) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والمنهج، وهبة الزحيلي، 251/13-252.

(4) في ظلال القرآن، سيد قطب، 2106/13.

خامسا: قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: 29-30].

أ – مناسبة الآيتين لما قبلهما وما بعدهما:

1 – مناسبة الآيتين لما قبلهما:

ـ لما بيّن سبحانه أن العلماء هم الذين يخشون الله ويخافون عقابه، وأثنى عليهم ثناء إجماليا بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: 28].

ـ استئناف لبيان جملة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: 28]، فبعد أن أثنى عليهم ثناء إجماليا وأجمل حسن جزائهم، انتقل إلى ثناءهم فيما خصّتهم به الآية وهو العلماء العالمين بكتاب الله المطيعين لما في طياتهم خشوعا منهم للمولى ﷻ ورغبة في مرضاته فالذين يتلون كتاب الله هم المراد بالعلماء[1].

ـ لمّا تقرر ذكر خشية العلماء من ربهم وثناء المولى ﷻ لهم، يتشوَّق بذلك السامع إلى معرفة العلماء فكان كأنه قيل: هم الذين يحافظون على كتاب الله علماً وعملاً[2].

ـ ولما ذكر تعالى وصف العلماء بالخشية، وهي عمل القلب، ذكر أنهم يتلون كتاب الله وهو عمل اللسان[3].

2 – مناسبة الآية لما بعدها:

ـ لما كان مبدأ أسباب ثواب المؤمنين هو تلاوتهم كتاب الله أعقب التنويه بهم بالتنويه بالقرآن للتذكير بذلك، ولأنّ في التذكير بجلال القرآن وشرفه إيماء إلى علّة استحقاق الذين يتلونه ما استحقوا[4].

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 22/305-306.

(2) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، 16/49.

(3) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، 7/298.

(4) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 22/308.

ـ لمّا ذكر في الآية السابقة العلماء الذين يتلون كتاب الله ويخشونهم وأبان ثوابهم ومستحقهم من ذلك، كان ذلك من قبيل الإشارة إلى طبيعة الكتاب وما فيه من حق، فكان ما سبق ذكره تمهيدا للحديث عن ورثة الكتاب[1].

ـ "ولمّا كانت ترجمة الآيتين أن العلماء هم حملة الكتاب، وبدأ سبحانه بأدنى درجاتهم، وكان ذلك مما يرغب في الكتاب، أتبعه ترغيباً هو أعلى منه، فقال عاطفاً على قوله في تقرير الأصل الثاني الذي هو الرسالة ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾[البقرة: 119]، وأكّده دفعاً لتكذيب المكذبين به: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾[فاطر: 31]"[2].

ب – المعنى الإجمالي للآيتين:

الآيتان تدوران في فلك الكلام عن حملة الكتاب وهم العلماء وفي ذكر صفاتهم الملهَمة فيهم الناتجة عن صفتهم الأصلية وهي خشية الله تعالى، وذلك لما اشتهر فيهم من اكتسابهم العلم الشرعي من العقائد والأخلاق والتكاليف وعلمهم بما فرض فيه من أحكام كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في السرّ والعلن، كان لهم فيه مُستحقّهم من الأجر والثواب[3].

وعليه: فلفظة السرّ وردت هاهنا في سياق صدقة التطوع السياق المتفق على عمومه في هذا المبحث، ولأنّ الإنفاق في سبيله سبحانه من أعظم الأعمال وأحبُّها إليه، ولورود الصدقات المستحبة في الآية (صدقة التطوع) من قوله: ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ كان التطوع في الإنفاق من صفات العالمين بكتاب الله ومن أحوالهم.

(1) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 2944/22.

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، 52/16.

(3) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 306/22.

الفرع الثّاني: حكم صدقة التّطوّع.

1 – قال تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة: 271].

الحكم الأوّل: إخفاء الصدقة

"ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية في صدقة التّطوّع، لأنّ الإخفاء فيها أفضل من الإظهار، وكذلك سائر العبادات الإخفاء أفضل في تطوعها لانتفاء الرياء عنها وليس كذلك الواجبات"[1].

روي عن النبي ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه فقال: «**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه**»[2].

وقال ابن العربي: "أما صدقة الفرض فلا خلاف أن إظهارها أفضل كصلاة الفرض وسائر فرائض الشريعة؛ لأن المرء يحرز بها إسلام، ويعصم ماله، وليس في تفضيل صدقة العلانية على السرّ ولا في تفضيل صدقة السرّ على العلانية حديث صحيح يعول عليه، ولكنّه الإجماع الثابت فأمّا صدقة النّفل فالقرآن صرح بأنها في السرّ أفضل منها في الجهر"[3].

ويؤيد هذا القول ما رُوي عن ابن عباس في الآية حيث قال: "جعل الله تعالى صدقة السرّ في التّطوّع تُفضّل صدقة العلانية بسبعين ضعفا، وجعل صدقة العلانية في الفرض تفضل صدقة السرّ بخمسة وعشرين ضعفا"، وعن "ابن عباس والحسن: إظهار الزكاة أفضل، وإخفاء صدقة التطوع أفضل من إظهارها وهو قول الشافعي"[4].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 359/4.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الآذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم الحديث: 660، 133/1.

(3) أحكام القرآن، ابن العربي، 314/1-315 (دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1424هـ-2003م) ط:3، ت: محمد عبد القادر عطا.

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 68/3.

قال الزجاج: "ومعنى: ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ هذا كان على عهد رسول الله ﷺ، فكان الإخفاء في إيتاء الزكاة أحسن فأمّا اليوم فالنّاس يسيئون الظنّ، فإظهار الزكاة أحسن، فأما التّطوّع فإخفاؤه أحسن لأنّه أدلّ على أنه يريد الله به وحده"[1].

وذهب آخرون إلى أنّ الآية عامّة في إخفاء الصدقة جميعاً، فرضها ومندوبها، وهو قول "قتادة والحسن ويزيد بن أبي حبيب وقد مدح الله تعالى على إظهار الصدقة كما مدح على إخفائها في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: 274]"[2].

قال الجصاص: "وجائز أن يكون في جميع الصدقات الموكول أداؤها إلى أربابها من نفل أو فرض دون ما كان منها أخذه إلى الإمام إلا أن عموم اللّفظ يقتضي جميعها لأن الألف واللام هنا للجنس فهي شاملة لجميعها وهذا يدل على أن جميع الصدقات مصروفة إلى الفقراء وأنها إنما تستحق بالفقر لا غير"[3].

وقال أبو حيان: "وظاهر الآية أن إخفاء الصدقات على الإطلاق أفضل، سواء كانت فرضاً أو نفلاً وإنّما كان ذلك أفضل لبعد المتصدق فيها عن الرياء والمن والأذى، ولو لم يعلم الفقير بنفسه وأخفى عنه الصدقة أن يعرف كان أحسن وأجمل بخلوص النية في ذلك"[4].

والخلاصة من ذلك أنّ: صدقة الفرض والإنفاق في المصالح العامة مثل بناء المدارس والمشافي والدّعوة إلى الدّين والجهاد، ونفقة التّطوّع أي: صدقة التنّفل التي يكون القصد منها ترغيب الآخرين في التصدّق البعيدة عن الرّياء، ينبغي إعلانها، لأنّ إعلانها أفضل من الإخفاء، أمّا الصّدقة على الفقراء لسدّ حاجاتهم فإسرارها أفضل من إعلانها، ستراً لحالهم وحفظاً لكرامتهم[5].

(1) إعراب القرآن وبيانه، الزجاج، 354/1.

(2) أحكام القرآن، الجصاص، 177/2 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1412هـ-1992م) لا.ط، ت: محمد صادق القمحاوي.

(3) المصدر نفسه، 177/2.

(4) البحر المحيط، أبو حيّان، 338/2.

(5) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والمنهج، وهبة الزحيلي، 71/3.

الحكم الثاني: صدقة التطوع لغير المؤمن

1 – جواز التصدُّق على غير المؤمنين، مشركين كانوا أو من أهل الكتاب لقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: 271].

2 – هذه الصدقة التي أباحها الله للمشركين هي صدقة التّطوّع وأمّا المفروضة فلا يجزئ دفعها لكافر[1]، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «**إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم...** »[2].

وذهب أبو حنيفة إلى أنّ زكاة الفطر تُصرف إليهم[3]، وقال فيه ابن العربي: "وهذا ضعيف لا أصل له، ودليلنا أنها صدقة طهرة واجبة فلا تصرف إلى الكافر كصدقة الماشية والعين"[4].

عن ابن عمر قال: "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر وقال: «**أغنوهم في هذا اليوم**»"[5] أي: أغنوهم عن سؤال الصدقة في يوم الفطر.

قال القرطبي: "وفي التنزيل: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: 8].

والأسير في دار الإسلام لا يكون إلا مشركا، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: 8]، فظواهر هذه الآيات تقتضي جواز صرف الصّدقات إليهم جملة، إلا أن النبي ﷺ خصّ منها الزكاة المفروضة، لقوله عليه السلام لمعاذ: «خذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم» واتفق العلماء على ذلك على ما تقدم، فيدفع إليهم من صدقة التطوع إذا احتاجوا والله أعلم"[6].

---

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 4/367-368.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، رقم الحديث: 1395، 2/128.

(3) ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي، 1/316.

(4) المصدر نفسه، 1/316.

(5) أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب: زكاة الفطر، رقم الحديث: 2133، 3/89، قال الألباني: (حديث ضعيف).

(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 4/369.

الفرع الثّالث: فضل صدقة التطوّع

1 – جاءت الآية الكريمة مُصرِّحة بأفضلية صدقة السرّ عن صدقة الجهر قال تعالى: ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ وفي قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: 274]، "إشارة إلى أن صدقة السِّرِّ أفضل؛ لأنّه قدم اللَّيل على النهار، والسرّ على العلانية في الذكر"[1].

2 – كما ورد في فضلها أحاديث صحيحة مرفوعة:

قال رسول الله ﷺ: «**صدقة السرّ تطفئ غضب الرب**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربّه، ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**»[3].

3 – "واتفق العلماء على أن كتمان صدقة التطوع أفضل: وإخفاءها خير من إظهارها لأنّ ذلك أبعد من الرياء وأقرب إلى الإخلاص؛ ولأنّ فيه بعدًا عما تُؤثره النّفس من إظهار الصدقة، وفي صدقة السرّ أيضًا فائدة ترجع إلى الفقير الآخذ وهي أنّه إذا أُعطي في السرّ زال عنه الذلّ والانكسار وإذا أُعطي في العلانية يحصل له الذلّ والانكسار"[4].

قال ابن عاشور: "وقوله: ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ تفضيل لصدقة السرّ لأن فيها إبقاء على ماء وجه الفقير، حيث لم يطلع عليه غير المُعطي"[5].

---

(1) اللّباب في علوم الكتاب، بن عادل الحنبلي، 446/4 (دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1419هـ–1998م) ط:1، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض.

(2) صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)، الألباني، 702/2 (المكتب الإسلامي، بيروت–دمشق، 1408هـ–1988م) ط:3.

(3) تقدّم تخريجه في الصفحة السابقة.

(4) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري، 86/4.

(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 67/3.

الفرع الرابع: الهدايات المستنبطة من الآيات الكريمة

1 – جواز صدقة العلن كصدقة السرّ، ولكن لكل من الصدقتين موقعها:

أ – أمّا صدقة العلن: وهي الفريضة، فإظهارها أفضل شأنها شان الشرائع التكليفية الأخرى.

ب – أمّا صدقة النفل: فالسرّ فيها أفضل لأنّ ذلك أسلم للُمعطى له من الاحتقار، وأقرب إخلاصاً وثباتاً للمُعطِي إيّاها، لذلك جاء الإخفاء في قوله تعالى: ﴿**وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ خاصّاً بالإيتاء للفقراء، لأنّ ذلك كان إشارة واضحة إلى أنّ الأفضل إعطاء الصدقة للفقير سرّا، ويستثنى من ذلك الأمور الخيرية العامة، والمصالح العامة التي من شأنها أن تثير مشاعر وتنمي الرحمة والرأفة في قلوبهم وحثّهم على أهمية الإنفاق عند الله، فكان الجهر فيها أفضل للإقتداء[1].

2 – جواز إظهار الصّدقة عن سلامتها من الرّياء.

3 – الترغيب في الصدقات ولو قلَّت والتحذير من الرّياء فيها وإخراجها من رديء الأموال.

4 – فضل صدقة السرّ وعظم أجرها[2].

5 – بشرى الله تعالى للمؤمنين المنفقين باللّيل والنّهار،سرّا وعلانية الذين يخلصون ويبتغون مرضاته من ذلك، بادخار أجرهم عنده تعالى ونفي المولى عنهم الحزن والهمّ أبدا[3].

6 – التَّصدق من بين الصفات الجَلِيَّة التي خصّها الله تعالى بعباده المؤمنين العلماء ووصفهم بها وبشّرهم بثواب طاعتهم وتحلِّيهم خشيته في السرّ والعلن.

(1) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، 361/1 (جامعة الشارقة، لا.م، 1431هـ-2010م) ط:1.

(2) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، 264/1، 60/3.

(3) ينظر: المرجع نفسه، 267/1.

المطلب الثّالث: ورود السرّ في سياق ذكر أحكام التناجي

نحن في غنى عن تعريف النّجوى وما يتعلّق بها من فروق وكلمة السرّ؛ لأنّ ذلك مذكور في المباحث السابقة، وتظهر أحكام التناجي المتضمَّنَة معنى السرّ جليّاً في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة: 8-10].

الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها وما بعدها

أ – مناسبة الآيات لما قبلها:

1 – بعد ذكره سبحانه أنه عليم الله بكل شيء، ومنه السرّ والنّجوى، خاطب رسوله معجبًا له أمر اليهود والمنافقين، الذين عادوا إلى ما نهاهم عنه، وهو التناجي بالإثم والمعصية[1].

2 – بعد أن ذكر تعالى القوم الذين كانوا يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوءهم، فيحزنون لذلك، بيّن سبحانه في هذه الآيات حالهم فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾[2].

3 – "الجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا اقتضاه استمرار المنافقين على نجواهم"[3].

4 – بعد أن نهى الله تعالى عن التناجي الظالم الفاسق، ناسب ذلك تأديبه ﷻ لعباده المؤمنين على التناجي العادل التقي؛ ليقابلوا ذلك التناجي الشقي[4].

---

(1) ينظر: تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، 12/28.

(2) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 491/29.

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 28/28.

(4) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوّى، 5790/10.

ب – مناسبة الآيات لما بعدها:

1 – "أنّ الله سبحانه لمّا نهى عباده المؤمنين عما يكون سببًا للتباغض من التناجي بالإثم والعدوان أمرهم بما يكون سبب التوادّ والتوافق بين بعض المؤمنين وبعضٍ، من التوسع في المجالس حين إقبال الوافد، والانصراف إذا طلب منكم ذلك فإذا فعلتم ذلك رفع الله سبحانه منازلكم في جناته وجعلكم من الأبرار الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[1].

2 – لمّا كانت هذه الآيات في توجيه المسلمين إلى آداب النجوى وتوبيخ المنافقين واليهود على عودتهم لهذه الآفة السيئة التفتت بالمؤمنين إلى أدب آخر من آداب الجماعة وهو آداب المجالسة[2].

3 – "ولما ذكر ما يحزن من السرّ لكونه اختصاصاً عن الجليس بالمقال فينشأ عنه ظن الكدر وتباعد القلوب، أتبعه الاختصاص بالمجلس الذي هو مباعدة الأجسام اللازم لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسرّ في الكلام فينشأ عنه الحزن، معلماً لهم بكمال رحمته وتمام رأفته بمراعاة حسن الأدب بينهم وإن كان من أمور العادة دون أحكام العبادة"[3].

4 – أُخِّرت الآيات المتعلقة بالأدب مع الرسول ﷺ عن آيات النجوى العامة إيذانا بفضلها دون النجوى التي تضمنتها هذه الآيات، فاتحاد الجنس في النجوى هو مسوغ الانتقال من النوع الأول إلى النوع الثاني، والإيماء إلى تميزها بالفضل هو الذي اقتضى الفصل بين النوعين بآية أدب المجلس النبوي.

5 – ولمّا كان للمنافقين نية مكر في قضية المجلس كما كان لهم نية مكر في النجوى، أنشأ مناسبة الانتقال من الكلام على النجوى إلى ذكر التفسح في المجلس النبوي الشريف[4].

(1) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري، 29/11-12.

(2) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 28/3511.

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، 19/375.

(4) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 28/36-37.

الفرع الثاني: سبب النزول

جاء في سبب نزول آيات التناجي في هذه الآيات روايات عديدة، اقتصرت منها المشهور الذي ذكرته جلّ كتب التفسير، فتحصّل لي بذلك روايتان اثنان وفيهما نظر.

أ – عرض الروايتان:

1 – قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم، فلما طال ذلك وكثر شكوا إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، وعادوا إلى مناجاتهم. فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

2 – وجاء في صحيح البخاري: "أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السّام واللّعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرّفق في الأمر كلّه**» فقلت: يا رسول الله أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «**قد قلت وعليكم**»[2]، وجاء في روايات أخرى زيادة ففطنت بهم عائشة فسبّتهم فقال رسول الله ﷺ: «**مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش والتفحش**»، وزيادة: فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾.

(1) أسباب نزول القرآن، الواحدي، ص:430.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرّفق في الأمر كلّه، رقم الحديث: 6024، 12/8.

ب – دراسة السبب وبيان الراجح:

ذكر جمهور المفسرين هذين الروايتين على تفاوت بينهم في ذكر بعضها أو كلها منهم: الطبري والبغوي وابن العربي وابن عطية والقرطبي وابن كثير وابن عاشور.

أمّا من قال أنّها نزلت في جماعة اليهود كما وضّحته الرواية سابقا؛ فهذا السبب يصح من وجهين:

1 – صحة الحديث وصراحة اللفظ في النزول.

2 – قول عائشة رضي الله عنها: فأنزل الله :﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾.

ولكنّ ما عليه أقوال المفسرين في أنّ الآية نزلت في المنافقين من اليهود والنصارى وما توجّد من قرائن وأدلة أثبتت أرجحية نزول الآية في المنافقين، ممّا سأذكره فيما بعد كلّ ذلك يوجّه الأنظار إلى أنّ الآية لم تنزل في رهط اليهود المذكورين من حديث عائشة رضي الله عنها، كذلك ما ذكرتُه من قول عائشة رضي الله عنها فأنزل الله: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ يُرَدُّ عليه كالآتي:

1 – أمّا فيما يخصّ صحة الحديث وصراحة اللفظ فممّا سبق لي دراسته في علم أسباب النزول أنّ أوْلى قرائن الترجيح في أسباب النزول ترجيح السبب ذات القرينة التاريخية لأنّ لها دور كبير سواء في ترجيح السبب عن الآخر أو في معارضة رواية لم تتّفق وبتاريخ النزول وكذلك الأمر هاهنا، فسورة المجادلة من أواخر القرآن نزولاً نزلت بعد سورة المنافقين وقبل سورة التحريم، وآخر قبائل اليهود نقضاً للعهد مع رسول الله ﷺ هم بنو قريظة بعد غزوة الأحزاب، وكان ذلك في سنة خمس من الهجرة فإذا كان اليهود جميعاً قد خلت المدينة منهم سنة خمس إمّا بالقتل أو الإجلاء، وكانت سورة المجادلة قد تأخر نزولها إلى هذا الحد، فكيف يكون الخطاب فيها موجهاً لليهود؟![1].

(1) ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني 966/2 (دار ابن الجوزي، الدمام–المملكة العربية السعودية، 1427هـ–2006م) ط:1.

2 – قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ السياق الذي أتت في إثره الآية لا ينطبق والقول في أنّ الآية نزلت في اليهود وذلك لأنّ في قوله تعالى: ﴿ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾ وقوله: ﴿ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ دلالة على أنّ المقصود في الآية المنافقين لا اليهود؛ لأنّ النبي ﷺ ما كان ينهى اليهود عن أحوالهم وهذا يرد قول من تأول الآية على اليهود[1].

والراجح في ذلك ما ذهب إليه بعض المفسرين من أن الآيات نزلت في المنافقين وليست في اليهود، قال ابن عطية: "وقال ابن عباس هذه الآية كلها في منافقين، ويشبه أن من المنافقين من تخلق في هذا كله بصفة اليهود"[2]، ذلك في حجة ما يلي:

1 – ما سبق ذكره من أدلة رد السبب القائل أنّها في اليهود.

2 – لم يخلو تفسير من التفاسير إلّا وأوردت أنّها نزلت في القوم المنافقين سواء أذكر السبب مفردا أم يصاحبه القول في أنّها في اليهود.

3 – سياق الآيات القرآنية يميل إلى المنافقين من وجهين:

الأول: ما سبق ذكره من أنّ النبي ﷺ ما كان ينهى اليهود عن أحوالهم.

وهذا حق فإن الله قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾ وهذا يعني أنه قد جرى نهي عن ذلك واليهود كفّار والكفّار لا يخاطبون بفروع الشريعة، فكيف يتوجه لهم الأمر والنهي؟

الثاني: أنّ اللّه تعالى تحدّث عن المنافقين بالأسلوب نفسه الذي تحدث به عن المتناجين فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة: 14]، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء: 142-143].

وإذا كان أسلوب الحديث في الآيتين واحدًا فلماذا تكون الأولى في اليهود، والثانية في المنافقين؟

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 28/30-31.

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 5/277.

4 – وصف المنافقين بذلك أقرب من وصف اليهود لأنّهم يعرفون من أحوال المؤمنين ما لا يعرفه اليهود، ويشاهدون ما لا يشاهدون وذلك بسب القربى وإظهار الإيمان، وإذا كانوا كذلك فهم أقدر على المناجاة بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وقد حكى الله عنهم في سورة عُنيت بفضحهم بأنهم يتناجون بالإثم والعدوان فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: 78- 79][1].

ومعلوم أن اللّمز والسخرية بالمؤمنين من الإثم والعدوان ومعصية الرسول، بينما لم يُعرف بين دفتي المصحف آية تحدثت عن مناجاة اليهود في العصر النبوي.

5 – المنافقون يحسنون دورين ويلبسون قناعين، فقوله: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ بيّن منهج المنافقين، فإلقاءهم التحية على رسول الله ﷺ بأحسن تحية برغم من مناجاتهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، ليس من ما أثروه من عادات العرب في الجاهلية كما حكى بعض المفسرين في تفسير إلقاء التحية في الآية وإنّما لأنّ ذلك يتفق ومنهجهم الأصلي وهي صفة النفاق ولعب دور الصلاح في الظاهر والفساد في الباطن[2].

النتيجة:

بعد عرض هذه الدراسة في بيان سبب نزول الآية يتحصّل القول في ترجيح قول من قال أنّها نزلت في جماعة المنافقين للأدلة والحجج التي ذكرتها والتي استقام عودها بتوافق سياق النزول والسبب المذكور، فدلّ بذلك على أنّه السبب الراجح والله أعلم.

(1) ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني 2/966-967.

(2) ينظر: المصدر نفسه، 2/967-968.

الفرع الثّالث: المعنى الإجمالي للآيات

نزلت هذه الآيات في سياق بيان آداب المناجاة في الإسلام وأحكامها[1]، فجاءت "تعالج هذا الموضوع، وتدل المسلم على أدب التناجي الحق"[2]، وعليه فالسرّ في هذه الآيات جاء متمثلا في النجوى التي بينهما وبين السرّ تقارب دلالي وثيق، وفروق طفيفة، لذلك جعلتها من ضمن سياقات كلمة السرّ في هذا المبحث (سياق الأحكام الشرعية) في سياق بيان آداب وأحكام التناجي العامّة في المجتمع الإسلامي، أمّا الآداب الخاصة بنبي ﷺ فإنّ المبحث الموالي يعالجها.

مُستهِلّة بتوبيخ الله للمنافقين واليهود، مخبرا نبيّه عن تناجيهم فيما بينهم، وتغامزهم فيما بينهم بأعينهم حين رؤيتهم للمؤمنين، بغية إغاظتهم كما تبيّن في سبب النزول، وعودتهم للنّجوى بعد نهيه عليه الصلاة والسلام عنها، ثمّ على ما يدور في خلجات أنفسهم قائلاً:﴿ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ ثمّ وجّه الخطاب موضِّحا تعاليم وآداب التناجي، بنهيهم عن التحدّث سرّا فيما بينهم بما فيه إثم معصية من القول، لأنّه من تزيين الشيطان وما تناجى أهل النّفاق واليهود بنجوى السوء إلّا ليحزنوا المؤمنين ويسببوا لهم الألم، وأجاز لهم التناجي الذي ينطوي على خير وطاعة وإحسان للغير أساسه البرّ وتقوى الله تعالى، وختمت الآية بدعوة المؤمنين للتّوكل على الله والاستعانة به في جميع شؤونهم، لأنّ ذلك من أخلاقيات المؤمن وسماته[3].

(1) التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، 632/3 (دار الجيل الجديد، بيروت، 1413هـ) ط:10.

(2) الأساس في التفسير، سعيد حوّى، 5789/10.

(3) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، 42/8-43-44.

الفرع الرابع: أحكام وآداب النجوى

تضمنّت الآيات أحكام متعلّقة بالتناجي ونحن سنقوم بذكرها على التوالي:

1 – إن شأن اليهود وديدنهم معاداة القيم والأنبياء، والتآمر والمكايد، فتراهم يتناجون سرّا بالإثم والعدوان، أي: بالكذب والظلم، ويتواصون بمخالفة الرسول ﷺ ويخرجون عن الآداب الاجتماعية المعروفة، رغبة في أذيته والتطاول عليه.

2 – نهى الله المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود، وهي المناجاة بالكذب والظلم.

3 – وبالمقابل بيّن لهم النجوى الحقّ التي لا تسبب أذيّة ولا حزناً للغير سواءً كان مسلما أو من أهل اليهود والمنافقين، وهي التناجي بالطاعة وتقوى الله ﷻ.

4 – وكانت السنّة النّبوية شارحة ومبيِّنة لآداب الإسلام في التناجي، فعن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون واحد**»[1].

و عن عبد الله رضي الله عنه–ابن مسعود– قال: النبي ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، أجل أن يحزنه**»[2].

وشرح القرطبي هذا الحديث مبيّنا فيه أحكام التناجي وآدابها فقال: "فبيّن في هذا الحديث غاية المنع وهي أن يجد الثّالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر، ذلك أنه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد أن يناجيه فلم يناجه حتى دعا رابعا، فقال له وللأوّل: تأخرا وناجى الرجل الطالب للمناجاة... وفيه أيضا التنبيه على التعليل بقوله: "من أجل أن يحزنه"، أي: يقع في نفسه ما يحزن لأجله، وذلك بأن يقدر في نفسه أن الحديث عنه بما يكره، أو أنه لم يروه أهلا ليشركوه في حديثهم، إلى غير ذلك من ألقيات الشيطان وأحاديث النفس، وحصل ذلك كله من بقائه وحده، فإذا كان معه غيره أمن ذلك وعلى هذا يستوي في ذلك كل الأعداد، فلا يتناجى أربعة دون واحد ولا عشرة ولا ألف مثلا لوجود ذلك المعنى في حقّه، بل وجوده في

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: السّلام، باب: تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، رقم الحديث: 2183، 1717/4.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء السلام، باب: إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة، رقم الحديث: 6290، 65/8.

العدد الكثير أمكن وأوقع فيكون بالمنع أولى وإنما خص الثلاثة بالذِّكر، لأنه أوّل عدد يتأتى ذلك المعنى فيه وظاهر الحديث يعمّ جميع الأزمان والأحوال، وإليه ذهب ابن عمر ومالك والجمهور وسواء أكان التناجي في مندوب أو مباح أو واجب فإن الحزن يقع به"[1].

الفرع الخامس: الهدايات التي ترشد إليها الآيات.

1 – الآيات نزلت تعلّمنا الإخلاص وهو أن يستوي ظاهر الإنسان وباطنه نزاهةً عن صفة النفاق، والنصيحة لكتاب الله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فجاءت مُحادية للنجوى لأنّها خلاف هذين الأمرين[2].

2 – الآيات الكريمة تُعلِمنا بإحاطة علم الله تعالى بكلّ غائبة في السموات والأرض وما تُبطنه الأنفس في الصدور وهذه من أهمّ آيات إعجازه هو أنّه عالم بالغيب ويطلع نبيّه على ذلك ومنه موضوع الآيات وهو الدسائس والمؤامرات التي تناجى بها المنافقين واليهود في حق المسلمين.

3 – بيّنت الآيات الآداب التي على المسلم أن يتحلى بها في المناجاة تلخصّتها آداب المناجاة في الإسلام.

4 – عناية الله ﷻ بأدق التفاصيل المتعلقة بالمؤمن ومراعاة مشاعره وأحاسيسه من خلال بيان هذه الآداب التي نصت عليها الآية وأوضحتها الأحاديث الصحيحة.

5 – التأسّي والاقتداء بسيد الخلق في تعامله بالرفق والأدب حتى مع أشدّ الخلق نداءة في الكون والأكثر بغضا له.

6 – التوكل على الله وتفويض كلّ الأمور إليه من صفات المسلم المؤمن، ومن دلائل قوّة إيمانه بربّه.

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 314/20.

(2) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 29/28.

المبحث الثاني: السرّ في سياق مخاطبة النبيّ ﷺ

سأفرد هذا المبحث بالكلام عن ورود لفظة السرّ في سياق ما جاء من الآيات القرآنية التي تتحدّث عن حياة سيّد الخلق محمد ﷺ، وتلخّص لي ذلك في ما يلي:

المطلب الأوّل: ورود كلمة السرّ في سياق حياة النبي ﷺ الأسرية

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم: 03-05].

سورة التحريم من السور المدنية نزلت من السور المتأخرة في النزول، عدد آياتها اثنا عشر آية ويتمحور موضوع السورة حول معالم وهدايات في تربية الأسرة المسلمة واشتمل هذا المقطع على أحكام وآداب وأساليب تربوية في ذلك، أوضحها النموذج المدروس في بيت رسول الله ﷺ مع أزواجه الذي يحثّ على آداب المعاشرة الزوجية[1]" عن طريق العتاب على إفشاء السرّ، والسرّ أمانة، وصلة ذلك بمحور السورة واضحة، فخيانة الأمانة نقض للعهد"[2] الذي له عواقب وخيمة تعود على الحياة الزوجية والأسرية بالسّلب والانهيار.

الفرع الأول: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها

أ – مناسبة الآيات لما قبلها:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [التحريم: 01-02].

(1) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، 8/241-249.

(2) الأساس في التفسير، سعيد حوّى، 10/6002.

1 – علاقة هذا المقطع بما تقدمه كالتفصيل للإجمال فإنّ النّفوس تتطلع إلى معرفة أسباب العتاب لرسول الله ﷺ وتفاصيل ما جرى بينه وبين أزواجه"[1].

2– هذا تذكير وموعظة بما جرى في طيّات الحادثتين ثني إليه عنان الكلام بعد أن قضي ما يهم من التشريع للنبي ﷺ بما حرّم على نفسه من جرائهما[2].

3 – هذا عطف للآية السابقة يقتضي تشريف النبي ﷺ بالمعاتبة عليه وبإظهار ما هو حامل له من ثقل هذا السرّ على أجمل وجه تخفيفا عنه وترويحا له[3].

ب – مناسبة الآيات لما بعدها:

1 – لما أبلغ سبحانه في عتاب أزواج النبي ﷺ وأبان لهنّ أنّ الله ناصر رسوله فلا يضره تظاهرهن عليه، ثم حذرهن من التمادي في مخالفته ﷺ خوفًا من الطلاق وحرمانهن من الشرف العظيم بكونهن أمهات المؤمنين، ومن استبدال غيرهن بهن من صالحات المؤمنات... أثمر ذلك أمر المؤمنين عامة بالتأسي والإقتداء من هذه الحادثة الحاصلة فقال تعالى متّبعاً لهذه الموعظة الخاصة بموعظة عامة دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للأقرب فالأقرب فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: 6][4].

2 – عرضت الآيات لهذا الحدث الذي وقع في بيت النبيّ، حيث هناك أطهر النفوس وأكرمها، ومع هذا فإن النفس البشرية لم تَسلم من العوارض التي تظهر في سمائها الصافية حينا بعد حين، فتحتاج إلى محاسبة ومراجعة حتى تنقشع هذه السحب عن سمائها ويعود إليها صفاؤها وإشراقها، فإذا كان هذا في بيت النبوة فما ظنّك بما يقع في آفاق النفوس خارج هذا البيت الكريم، من زلاّت وهزّات، تتصدع لها النفوس وتضلّ معها العقول.

(1) التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، 247/8.

(2) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 350/28.

(3) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، 185/20.

(4) ينظر: المصدر نفسه، 196/20. حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري، 455/29.

وعليه: فالأمر يحتاج إلى مراقبة دائمة من الإنسان لنفسه، وحراسة واعية من الآفات التي تتهدد إيمانه، وترعى مواطن الخير فيه[1].

الفرع الثاني: سبب نزول الآيات

من أشهر روايات هذه الحادثة؛ الأولى تحريم شرب العسل والأخرى في تحريم مارية وهما:

1 – "ما أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيّتُنا دخل عليها فلتقل له: أكلت*مغافير؟ إنّي أجد منك ريح مغافير قال: «**لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا**»[2].

2 – "عن أنس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه» فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾"[3].

دراسة الروايتين وبيان الراجح منهما:

تباينت أقوال المفسرون في سبب نزول الآية بين من رجّح أنها في تحريم العسل، ومن رجّح تحريم الجارية، ومنهم من أطلق السبب على القولين احتمالا دون تعيين.

القول الأول: سبب النزول هو قضية تحريم العسل: واختاره ابن العربي والقرطبي وابن كثير وابن عاشور.

---

(1) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، 1031/14 (دار الفكر العربي، القاهرة، 1390هـ-1970م) ط:1.

***مغافير**: جمع مغفور وهو شيء يشبه الصمغ، ينضحه العرفط حلو كالناطف وله ريح منكرة والعرفط شجر من العضاه كل شجر له شوك. ينظر: غريب الحديث، ابن قتيبة، 314/1-315 (مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ) ط:1، ت: عبد الله الجبوري. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، 163/1 (دار المعرفة، بيروت، 1379هـ) لا.ط، ت: عبد العزيز بن عبد الله بن باز وآخرون.

(2) أخرجه البخاري، كتاب: الطلاق، باب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾، رقم الحديث: 5267، 44/7. ومسلم، كتاب: الطلاق، باب: وجوب الكفارة على من حرّم امرأته ولم ينو الطلاق، رقم الحديث: 1474، 1100/2.

(3) أخرجه النسائي في سننه، كتاب: عشرة النساء، باب: الغيرة، رقم الحديث: 3959، 71/7، قال الألباني: (حديث صحيح الإسناد).

قال القرطبي: "وأصح هذه الأقوال أولها... إنّما الصحيح أنّ التحريم كان في العسل وأنّه شربه عند زينب وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، فجرى ما جرى فحلف ألا يشربه وأسرّ ذلك"[1].

القول الثاني: سبب النزول هو تحريم الجارية: واختار هذا ابن عطية والقاسمي.

قال ابن عطية: "والقول الأول أن الآية نزلت بسبب مارية أصح وأوضح وعليه تفقه الناس في الآية"[2].

وقال القاسمي: "والذي يظهر لي هو ترجيح روايات تحريم الجارية في سبب نزولها"[3] ثمّ وجّه ترجيحه بأدلة من وجوه هي كالآتي:

1 – أن مثله يُبتغى به مرضات الضرات، ويهتم به لهن.

2 – أن روايات شرب العسل لا تدلّ على أنه حرّمه، ابتغاء مرضاتهن بل فيه أنه حلف لا يشربه أنفةً من ريحه.

3 – أن الاهتمام بإنزال سورة على حدةٍ لتقريع أزواجه ﷺ وتأديبهن في المظاهرة عليه وإيعادهن على الإصرار على ذلك بالاستبدال بهن وإعلامهن برفعة مقامه وأن ظهراءَه مولاه وجبريل والملائكة والمؤمنون كل ذلك يدل على أن أمرًا عظيمًا دفعهن إلى تحريمه ما حرم، وما هو إلا الغيرة من مثل ما روي في شأن الجارية، فإن الأزواج يحرصن أشد الحرص على ما يقطع وصلة الضرةِ الضعيفة ويبترها من عضو الزوجية.

ثمّ قال بعد عرضه لهذه الوجوه:

وأما تخريج رواية العسل في هذه الآية، وقول بعض السلف نزلت فيه فالمراد منه أن الآية تشمل قصته بعمومها، على ما عُرف من عادة السلف في قولهم: نزلت في كذا[4].

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 70/21.

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 330/5.

(3) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، 268/9 (دار الكتب العلميه، بيروت، 1418هـ) ط:1، ت: محمد باسل عيون السود.

(4) ينظر: المصدر نفسه، 268/9-269.

القول الثالث: إطلاق القولين احتمالاً بلا تعيين[1] وذهب إليه الطبري والبغوي والسعدي.

قال الطبري: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرمه النبي ﷺ على نفسه شيئاً كان اللَّه قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته، وجائز أن يكون شراباً من الأشربة، وجائز أن يكون كان غير ذلك غير أنه أيَّ ذلك كان فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً، فعاتبه اللَّه على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبيّن له تحلة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرم على نفسه".[2]

وقال السعدي: "هذا عتاب من الله لنبيه محمد ﷺ حين حرّم على نفسه سريته (مارية) أو شرب العسل، مراعاةً لخاطر بعض زوجاته في قصة معروفة"[3].

بعد عرض أقوال المفسرين أستخلص بأنّ هذه الأقوال جاءت خالية من الحجج والبراهين عدا قول القاسمي في ترجيح تحريم الجارية فقد تدعّم بجملة من الأدلة والحجج ترتاح لها النفوس وتثبت صحة احتمالي في أنّه السرّ الذي أسرّه النبي ﷺ إلى حفصة رضي الله عنها، وأنّها الراجح في سبب نزول الآيات، ومن رجّح أنّ ما أسرّه رسول الله ﷺ التحريم شرب العسل وأنّ التحريم يشمله والآيات نازلة فيه فهذا يخالف القرآن من وجوه:

1 – أن النبي ﷺ حين أسرّ الحديث إلى زوجه لا يريد أن يفشو، وهذه حقيقة السرّ بين الاثنين، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يفشي النبي ﷺ السرَّ بنفسه، وقد نهى عن ذلك، وفي رواية عائشة رضي الله عنها قال: «**كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش**»، فالنبي عليه الصلاة والسلام ما كتم ولا أخفى، فهل يصح أن يستسرَّها الحديث ثم يفشيه؟[4].

(1) ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من الكتب التسعة، خالد بن سليمان المزيني، 1033/2.

(2) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، 480/23.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص:872 (مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، 1420هـ–2000م) ط:1، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

(4) ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من الكتب التسعة، خالد بن سليمان المزيني، 1034/2.

2 – أن الله ذكر أن سرَّ النبي ﷺ كان حديثاً بقوله: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾ وأن النبي ﷺ عرّف المفشية بعضه وأعرض عن بعض وهذا يعني أن الحديث فيه طُول، وعلى أقل تقدير يقبل القسمة، فهل يتفق هذا مع السرّ المذكور في الحديث وهو قوله: «**كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش**»؟ وفي الواقع هذا لا يمكن لأن السرّ هنا كلمتان فقط فما الذي يمكن أن يعرَّف وما الذي يمكن أن يعرض عنه هنا.

3 – لو كان شربَه العسل هو السرُّ ما كان لقوله الله تعالى: ﴿ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾، أيُّ معنى: إذ كيف يطلعه اللَّه على أمرٍ قد فعله بنفسه، بينما سياق القرآن يدلّ على أنّه لم يكن يعلم بفشو السرّ.

4 – لو كان السرُّ شربه العسل ما كان لقول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ ﴾، أيّة فائدة لأنّه هو من أَنبأ بذلك، فلم تختص زوجه بالإنباء.

5 – أن الله قال: ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ﴾ وهذا يعني أنه حرّم الحلال لإرضائهن، بينما لا تدلّ الأحاديث على أنّهن طلبن تحريم العسل، بل غاية الأمر أنّهن شكون من رائحته وهذا لا يعني المطالبة بالتحريم، لأنّ هذا لا ينهي القضية فلئن كانت رائحةُ العسل هذا ريحَ مغافير فليس كل العسل وهن يعلمن هذا تماماً[1].

ونخلص من هذه الوجوه الأدلة التي توجب بترجيح قضية تحريم الجارية وردّ رواية تحريم شرب العسل وهي على النحو الآتي:

1 – شرب العسل لا صلة له بآيات السورة، لأنّه مخالف للسياق القرآني فيها.

2 – جُلُّ من رجّح شرب العسل خلت أقوالهم من الحجة والبرهان إلّا فيما صحّ من ثبوت هذه الرواية أكثر منها من رواية تحريم الجارية، بينما من قال بتحريم الجارية وهو القاسمي فقد ساق أدلة تقتضي ترجيح قوله وتُؤيّدها[2].

(1) ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من الكتب التسعة، خالد بن سليمان المزيني، 2/1034-1035.
(2) ينظر: المرجع نفسه، 2/1033.

3 – وسبب اجتماع حفصة وعائشة عليه ﷺ ليس لمجرد شرب العسل عند زينب فلا يخفى عليهن حبّه للحلواء والعسل، فليس في الأمر إشارة إلى مطالبتهن بالانتهاء عن هذا الأمر وإن احتملت هذه الرواية ذلك فلسبب احتباسه ﷺ عند زينب زمنا ولغيرة عائشة المفرطة من زينب التي لم تكن من حزبها، وليس ذلك وإن صحّ سببا قويا في ترجيح الرواية، لأنّ خلوة النبي ﷺ بجاريته، هي أوقع أثرا في الغيرة بين الضرائر وليس مجرّد شرب العسل أو احتباسه فترة عند ساقيته، ولعظم هذا الأمر وهو ما بدر من رسول الله في تحريمه حليلته على نفسه إرضاءً لزوجاته، نزلت أوائل الآيات جُلّها في عتابه على ذلك وفي نصرته لما بدر من كشف حفصة بنت عمر ﷺ سرّ زوجها لخليلتها[1].

4 – "أكثر السلف يقولون إن سبب نزول الآيات قصة الجارية، فقد روى الطبري ذلك عن ابن عبَّاسٍ، والحسن، وقتادة، والضحاك، ومسروق، والشعبي، وزيد بن أسلم، وعبد الرحمن بن زيد، وهذا برهان بيِّن على أن القضية في الجارية، كيف لا إذا علمنا أن هؤلاء التابعين إنّما تلقوا علومهم من الصحابة رضي الله عنهم"[(2)].

5 – ومن قال باتفاق المتظاهرتان في الروايتين فالجواب: "نعم هما اثنتان لا أكثر ولكن ليس في العسل؛ لأنّ سياق القرآن كما تقدّم يأبى هذا"[(3)].

الخلاصة:

ما قيل في سبب النزول: وبما تقدم يتبين أنه ليس لقضية شرب العسل ارتباط أو صلة بنزول الآيات وأن أثبت رواية حديث العسل عن عائشة وبناءً عليه فالصواب في سبب النزول ما ثبت عند النَّسَائِي من حديث أنس ﷺ أنها في تحريم الجارية وليس لهذا الحديث أيُّ معارض.

(1) ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من الكتب التسعة، خالد بن سليمان المزيني، 2/1035-1036.
(2) المرجع نفسه، 2/1035.
(3) المرجع نفسه، 2/1037.

الفرع الثالث: المعنى الإجمالي للآيات

هذه الآيات مستهلّ سورة التحريم وهي إشارة إلى حادث وقع بين النبي ﷺ وبعض زوجاته، فتكون الآيات قد احتوت صورة من الحياة البيتية الخاصة النبي ﷺ وأزواجه، وسيرة رسول الله ﷺ وحياته الواقعية بكلّ ما فيها من تجارب الإنسان ومحاولاته، وضعفه، وقوّته مختلطة بحقيقة الدعوة السماوية مرتقية بها خطوة خطوة كما يبدو في سيرة أهله وأقرب الناس إليه كانت هي النموذج العملي للمحاولة الناجحة، يراها ويتأثر بها من يريد القدوة الميسرة العملية الواقعية، فسبحانه جعل حياة نبينا الكريم كتاباً مفتوحاً يقرؤه الجميع وتراجعه الأجيال بعد الأجيال[1] والقرآن الكريم بكلّ ما فيه هو عبرة وعظة في كافة المواضيع التي يعالجها أو يشير إليها، كما هو الحال في أسلوب الآيات الذي يلهمنا بأنّها إنّما أوحيت للعظة والتعليم مما يصح أن يكون شاملا لعامّة المسلمين في الحالات المماثلة من مشاهد الحياة الزوجية[2] التي يكسر قوام هذه العلاقة المقدسة "أمرا على جانب من الخطورة ألا وهو إفشاء السرّ الذي يكون بين الزوجين والذي يهدّد الحياة الزوجية بالتردّي والتوقف فضربت المثل برسول الله ﷺ حين أسرَّ إلى حفصة حديثًا، واستكتمها إياه فأفشته إلى عائشة حتى شاع وذاع مما أغضبه ﷺ حتى همّ بتطليق أزواجه"[3].

الفرع الرابع: الهدايات التي ترشد إليها الآيات

اشتملت هذه الآيات على عدة معاني بيّنت فيها العديد من العبر والمواعظ وأهمها آداب المعاشرة الزوجية، وما يقتضيه إفشاء سرّ الزوجية والتحذير والتنبيه في مثل هذه الزلّات وهي كالآتي:

---

(1) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 3617/28.

(2) التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، دروزة محمد عزة، 534/8 (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1421هـ-2000م) ط:2.

(3) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، 1478/10 (مطبعة المصحف الشريف، لا.م، 1413هـ- 1992م) ط:3.

1 – المراد من عرض القصة العلم بمغزاها وما فيها مما يجتنب مثله أو يقتدى به وليس القصد معرفة الأعيان، ودلّ عليه العدل عن ذكر اسم حفصة بنت عمر ﷺ في قوله تعالى: ﴿ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ ﴾.

2 – أولى الناس بمعرفة سرّ الرجل زوجه، ولذلك جاء التعريض بملام حفصة رضي الله عنها على إفشاء سرّ النبي ﷺ؛ لأنّ واجب المرأة أن تحفظ سرّ زوجها إذا أمرها بحفظه، دلّ على ذلك ذكر حفصة بعنوان بعض أزواجه.

3 – وأسرّ أخبر بما يراد كتمانه عن غير المخبر أو سأله عدم إفشاء شيء وقع بينهما... فأسرّ يطلق بمعنى الوصاية بعدم الإفشاء... وقد قيل: السرّ أمانة، أي وإفشاؤه خيانة.

والكلام في السرّ وحفظه أكثر من أن يحصى جعلناه من ضمن مطالب المبحث الأخير.

4 – "إطلاع الله نبيّه ﷺ على السرّ الذي بين حفصة وعائشة كان غلبة له عليهما فيما دبرتاه... وعرّف النبي ﷺ حفصة بذلك ليوقفها على مخالفتها واجب الأدب من حفظ سرّ زوجها.

5 – إنّ أواصر الزوجية أقوى من أواصر الخلّة وواجب الإخلاص لرسول الله أعلى من فضيلة الإخلاص للخلائل، وإفشاء سرّ الزوجيه زلّة خلقية عظيمة أخلّت بها حفصة حين ظنّت أنّ صفاءها لعائشة يؤاخي ولا يضرّ شيئا من واجبها كزوجة لرسول الله، دلّ على هذا قولها: ﴿ مَنۡ أَنۢبَأَكَ ﴾ الذي فيه كفاية من تيقّظها بأن إفشاءها سرّ زوجها حجبها عن مراعاتها شدّة الصفاء لعائشة ولو تذكّرت لتبيّن لها أن مقتضى كتم سرّ زوجها أقوى من مقتضى إعلامها خليلتها[1].

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 28/351-352-353-354.

6 – إفشاء السرّ إضاعة لحقوق الزوج، وجاء القرآن الكريم في هذه الآيات مخاطبا لحفصة وعائشة رضي الله عنهما واعظا لهما ومحذّرا ومرشدا فمن ارتكاب هذه الزلّة في حق الزوج فقال: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ فإنباء النبي ﷺ بعلمه بما أفشته حفصة وخطاب التثنية القصد منهما الإرشاد والتوجيه إلى أمرين اثنين وهما:

أ – فأمّا المنبِّئة فأمرها بالتوبة وهذا ظاهر في قوله: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾.

ب – أمّا المُذاع إليها وهي المنبَّأة، فهي شريكة لها في تلقي الخبر السرّ فكان عليها أن تنهاها عن ذلك أو أن تخبر زوجها بما أذاعته عنه ضرتها.

فهذا الخطاب والمعاتبة والموعظة لمذيع السرّ ومشاركة المذاع إليه في ذلك.

7 – إفشاء سرّ الزوجيه انحراف عن أدب المعاشرة مع الزوج، أشارت إليه الآية في قوله تعالى: ﴿ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴾ الذي أوجب فيه التوبة من هذا الصنيع حتى يقع من ذلك صلاح ما فسد من قلوبهما.

8 – في قضية إفشاء السرّ ذنب صاحب السرّ المستأمن عليه أكبر من المذاع إليه السرّ، لذلك فاللّوم الأكبر يقع عليه، دلّ على قوله تعالى: وتقديم وصف ثيبات في قوله: ﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا ﴾ إشارة إلى أن الملام الأشدّ موجه إلى حفصة قبل عائشة وكانت حفصة ممن تزوجهن ثيبات وعائشة هي التي تزوجها بكرا[1].

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 28/356-362.

المطلب الثاني: ورود كلمة السرّ في سياق نجوى الرسول ﷺ

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [المجادلة: 12-13]، أطلق المفسرون على هذه الآيات عنوان صدقة المناجاة، وعلى هذا السياق ورد التناجي في الآيات الكريمة.

الفرع الأوّل: مناسبة الآيات لما قبلها وبعدها

أ – مناسبة الآيات لما قبلها:

1 – المناسبة تتمحور في قوله تعالى: ﴿ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ [المجادلة: 9]، فهذه الصّدقة شرعها الله تعالى وجعل سببها مناجاة الرسول ﷺ، فذكرت عقب آي النجوى لاستيفاء أنواع النجوى من محمود ومذموم[1].

2 – دعا الله ﷻ المؤمنين في الآية سابقة، إلى أن تكون مناجاتهم بالبر والتقوى: ﴿ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾، فإذا كانت مناجاة المؤمنين بعضهم بعضا ينبغي أن تقوم على البر والتقوى فكيف إذن تكون مناجاتهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه؟ إنها حينئذ ينبغي أن تكون المناجاة الخالصة للبرّ والتقوى بكلّ ما فيها من معنى فجاءت هذه الآيات موضحة عظم وقيمة المناجاة مع رسول الله ﷺ، فهو انتقال من الأمر بالنجوى العامة وبيان معالمها وآدابها إلى آداب النجوى الخاصة وهي الخاصة بالنبي ﷺ[2].

3 – بعدما بيّن تعالى أدب الإسلام في المناجاة والمجالسة، أمر المؤمنين بتقديم صدقة قبل مناجاة النبي ﷺ، لأنّهم كانوا يتنافسون في القرب من مجلس رسول الله ﷺ لسماع أحاديثه وكانوا يكثرون من هذه المناجاة فكان ذلك يشق على الرسول ﷺ، وقد يستثقله الحاضرون، فأراد الله أن يحد من هذه المناجاة، ويخفف عن نبيّه فأمر بتقديم الصدقة قبل المناجاة لحِكم تشريعية نذكرها فيما بعد إن شاء الله[3].

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 42/28.

(2) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، 834/14.

(3) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والمنهج، وهبة الزحيلي، 46/28.

4 – بعد الإرشاد إلى آداب المجالسة في المجلس التي كانت من الآداب العامة يقتدي بها المؤمن ويُطبّقها، ومن الآداب الخاصة في علاقة المسلمين آن ذاك بنبي الله فأعمهم في هذه الآيات بأدب آخر من آداب علاقتهم مع الرسول ﷺ وهو أدب المناجاة الخاص بنبي ﷺ[1].

5 – "بعد أن أدّب الله المسلمين هذا الأدب الرفيع الذي فيه هضم النفس في ذات الله، وبعد أن علمهم كيف يكون محور حديثهم في مجالسهم، تأتي الآن آيتان فيهما أدب مناجاة رسول الله ﷺ، وذلك في مقابل سوء أدب الكافرين والمنافقين مع رسول الله ﷺ"[2].

أ – مناسبة الآيات لما بعدها:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة: 14].

1 – بالجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا لأنّها عود إلى الغرض الذي سبق في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [المجادلة: 5]، بعد أن فصل بمستطردات كثيرة بعده[3].

2 – "ولما أخبر بإحاطة علمه ردعا لمن يغتر بطول حلمه، دلّ على ذلك باطلاعه على نفاق المنافقين الذي هو أبطن الأشياء، فقال معجبا مرهبا معظما للمقام بتخصيص الخطاب بأعلى الخلق ﷺ تنبيها على أنه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ ﴾"[4].

(1) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 3512/28.

(2) الأساس في التفسير، سعيد حوّى، 5791/10.

(3) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 48/28.

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، 385/19.

الفرع الثاني: سبب نزول الآيات

ذكر المفسرون في سبب نزول الآيتين الكريمتين روايات أشهرها ما رواه ابن عباس وما روي عن علي ابن أبي طالب ﷺ.

"عن ابن عباس قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه فأنزل: ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ ﴾، فلمّا نزلت صبر كثير من الناس وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد ذلك: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ ﴾"[1] "وعن علي ابن أبي طالب ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ ما ترى دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فنصف دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فكم؟ قلت: شعيرة، قال: إنّك لزهيد فنزلت: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ﴾، قال: فبي خفّف الله عن هذه الأمة"[2].

الفرع الثّالث: المعنى الإجمالي للآيات

تتكلّم الآيتان الكريمتين حول موضوع صدقة المناجاة، التي كانت في صدر الإسلام وهذا التصدّق أمر به الله سبحانه المؤمنين قبل مكالمة الرسول ﷺ، وذلك تخفيفا عليه وتوقيرا وتعظيما له، ثمّ رُفع ذلك الأمر دفعاً للحرج وتيسيراً على جميع المؤمنين فقال: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ ﴾، أي: أخفتم الفقر من تقديم الصدقات قبل مناجاة نبيّكم ﷺ ثمّ نُسخت الآية بقوله: ﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[3]، لأنّ الله علم ضيق صدر كثير منهم عن إعطاء الصدقة في المستقبل مع كثرة المسائل لو دام الوجوب، فخفّف عنهم وأمر بمتابعة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعتة في فرائضه ورسوله ﷺ في سننه وسبحانه محيط بأعمال عباده ونياتهم[4].

(1) لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، ص:256 (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، 1422هـ-2002م) ط:1.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المجادلة، رقم الحديث: 3300، 406/5، قال الترمذي: (حديث حسن غريب).

(3) ينظر: التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، 2614/3.

(4) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والمنهج، وهبة الزحيلي، 49/28.

الفرع الرابع: الأحكام والهدايات المستنبطة من الآيات

أ – الأحكام:

"اختلف العلماء في مقتضى هذا الأمر أهو الوجوب أم هو الندب؟

فقال الجمهور بالوجوب، مستدلاً بأنّ الآية فيها أمر بتقديم الصدقة عند النجوى والأمر للوجوب، ثم قال الله في آخر الآية: ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، ومثل هذا لا يقال إلاّ في الواجبات التي لا تترك.

بينما قال غيرهم وهو قول من قال أنّها شُرِّعت بعد تشريع الزكاة المفروضة[1]: بأنّ الأمر هنا للندب والاستحباب، وذلك أنّ الله قال في الآية: ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾، ومثل هذا قرينة تصرف الأمر عن ظاهره، وهو إنما يستعمل في التطوع دون الفرض"[2] أمّا قول الوجوب للجمهور فقد اختاره الفخر ورجّحه بأنّه الأصل في صيغة الأمر فقال: "ظاهر الآية يدلّ على أن تقديم الصدقة كان واجبا لأنّ الأمر للوجوب، ويتأكّد ذلك بقوله في آخر الآية: ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فإنّ ذلك لا يقال إلا فيما بفقده يزول وجوبه"[3]، وردّ على من قال بالندب فقال: "المندوب كما يوصف بأنه خير وأطهر فالواجب أيضا يوصف بذلك"[4].

"واتّفق العلماء على أن الآية منسوخة نسختها الآية التي بعدها: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ ﴾، وقد اختلفوا في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ، فقيل: بقي التكليف عشرة أيام ثم نسخ وقيل: ما بقي إلاّ ساعة من النهار ثم نسخ وقد روي عن علي كرّم الله وجهه أنه قال: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فاشتريت به عشرة دراهم فكلّما ناجيت الرسول ﷺ قدّمت بين يدي نجواي درهماً ثمّ نسخت فلم يعمل بها أحد"[5].

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 43/28.

(2) تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس، ص:749 (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، لا.م، 2002م) لا.ط ت: ناجي سويدان.

(3) مفاتيح الغيب، الرازي، 495/29.

(4) المصدر نفسه، 495/29.

(5) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، 547/2-548.

قال القرطبي: "وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق به ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فنسخت فرضية الزكاة هذه الصدقة، وهذا يدلّ على جواز النسخ قبل الفعل وما روي عن عليّ ﷺ ضعيف لأن الله تعالى قال: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ﴾، وهذا يدلّ على أنّ أحداً لم يتصدّق بشيء، والله أعلم"[1].

ب – الهدايات المستنبطة من الآيات:

كان المؤمنين "يتنافسون في القرب من مجلس رسول الله ﷺ لسماع أحاديثه ولمناجاته في أمور الدين، وأكثروا في ذلك حتى شقّ عليه ﷺ وشغلوا أوقاته التي يجب أن تكون موزعة بين إبلاغ الرسالة والعبادة والقيام ببعض وظائفه الخاصة فإنّه بشر يحتاج إلى قسط من الراحة، وإلى التحنث إلى ربه في خلواته.

من أجل هذا نزلت هذه الآيات آمرة بوجوب تقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول والحديث معه لما في ذلك من منافع ومزايا:

1 – إعظام الرسول وإعظام مناجاته فإن الشيء إذا نيل مع المشقة استعظم وإن نيل بسهولة.

2 – لم يكن له منزلة ورفعة شأن.

3 – نفع كثير من الفقراء بتلك الصدقات المقدمة قبل المناجاة.

4 – تمييز المنافقين الذين يحبون المال ويريدون عرض الدنيا من المؤمنين حقّ الإيمان الذين يريدون الآخرة وما عند الله من نعيم مقيم"[2].

5 – الزجر عن الإفراط في الأسئلة لرسول الله ﷺ.

وأرشدتنا الآيات الكريمة إلى ما يلي:

1 – وجوب تعظيم الرسول ﷺ وعدم الإثقال عليه في المناجاة.

2 – تقديم الصدقة قبل المناجاة مظهر من مظاهر تكريم الرسول ﷺ.

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 325/20.

(2) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، 18/28.

3 – صدقة المناجاة من الأحكام التي نسخت.

4 – نسخ الأحكام الشرعية لمصلحة البشر تخفيف من الله تعالى على عباده.

المبحث الثّالث: ورود كلمة السرّ في سياق الآداب

السرّ في القرآن الكريم من الآداب والأخلاق المحمودة، ولسعة هذا اللّفظ تعدَّت سياقاته إلى أحكام شرعية خاصة به، وإلى وقائع حادثة في حياة رسول الله ﷺ يقتدي بها المسلم، وفي هذا المبحث سأقوم بذكر أهم الآداب الخاصة بالسرّ وهو كتمان السرّ؛ فقسّمت المبحث إلى مطالبين أوّلها في كتمان السرّ في القرآن الكريم والثاني حول النموذج القرآني لكتمان السّر.

المطلب الأوّل: أدب كتمان السرّ في القرآن الكريم

كتمان السرّ وصيانته من الآداب والأخلاق التي يجب أن يتحلّى بها المسلم، لأنّها من دلائل سعة صدره وصبره، ومروءته وجاء كلٌّ من القرآن الكريم والسنّة النّبوية حاثّتين عليه وطبقه الصحابة الكرام في حياتهم، وجاءت العديد من الأقوال فيه وفي آدابه من أقوال السلف والعلماء والحكماء، وأخذ شأن كبير في الواحة الشعرية.

الفرع الأول: كتمان السرّ في القرآن الكريم

ورد كلّ من لّفظي (السرّ) و(الكتمان) في القرآن الكريم على انفراد ولم يرِدا معاً بصّيغة (كتمان السّرّ)، أمّا المعنى المقصود بكتمان السّرّ فلقد ورد في آيات عديدة لاندراج هذه الصّفة في كلٌّ من الأمانة والوفاء من جهة، والوقار من جهة أخرى وذلك أنّ نقيض هذه الصّفة وهو إفشاء السّرّ من قبيل اللّغو الّذي أمرنا الله ﷻ بالإعراض عنه ومن الواضح أنّ الّذي يؤتمن على سرّ فيحافظ عليه يكون مؤدّيا للأمانة، ومن الوفاء أن يحافظ المسلم على سرّ أخيه فيكتمه وإلّا كان غادرا، ومن حقّ المسلم على أخيه أن يحفظ سرّه عنه، خاصّة إذا كان قد تعهّد له بحفظ هذا السّرّ وعدم إذاعته، وعليه فكتمان السرّ كذلك نوعا من الوفاء بالعهد[1]، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: 34].

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون: 8]، فكتمان السرّ من الأمانة التي أمرنا الله سبحانه بالمحافظة عليها فوجب على المسلم أن يفعل ما أمره الله تعالى ويُوفي

(1) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح بن عبد الله بن حميد، 3206/8 (دار الوسيلة، جدة، د.ت) ط:4.

بعهده أمام الله تعالى ومن استأمنه على سرّه، والآيات الواردة في الأمر بالوفاء بالعهد والحفاظ على الأمانة كثيرة، وهذا يتّفق مع قوله ﷺ: «**إذا حدَّث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة**»[1]، والأمور التي يجب على المسلم أن يلتزم فيها بخلق الكتمان كثيرة؛ بينما هناك أمور أخرى يجب على المسلم عدم كتمانها، مثل كتمان الشهادة التي نهى عنها تعالى في كثير من المواضع في القرآن الكريم كقوله: ﴿ **وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: 283]، كتمان العلم في قوله جلّ وعلا: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ** ﴾ [البقرة: 159]، وغيرها من الأمور المنهي عن كتمانها ذلك لما فيها من ضرر حالة سترها وإخفائها واحتكار لما قد يستفيد منه المسلم حال إظهارها وإعلانها ومن ناحية أخرى وهي الأهم ولبّ الموضوع عندي وجوب الكتمان وهي كما ذكرت من الأمور التي على المسلم أن يلتزم فيها بفضيلة كتمان السرّ، وحثّ القرآن الكريم وذكر بضعاً من هذه الأمور ونهى عن نقيضها مثل كتمان عورات المسلمين؛ فعلى المسلم أن يستر عورة أخيه المسلم ولا يقوم بأذيّته بفضحه وكشف عيوبه وعوراته التي لا تخلو في أي إنسان فنحن بشر ونخطئ بالفطرة، بل عليه أن يستره ويغضّ بصره عن عيوبه وأسراره وقال ﷻ في هؤلاء الذين يقومون بهتك أستار المسلمين: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النور: 19].

وأوصى النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين بالكتمان في قضاء أمورهم وحوائجهم فقال: «**استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود**»[2].

وكتمان السرّ من صفات الزوجة الصالحة الطاهرة التي قال فيها تعالى: ﴿ **فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ** ﴾ [النساء: 34].

(1) تقدم تخريجه في ص:9

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، 94/20، رقم الحديث: 183، قال الألباني: (حديث صحيح).

وصور كتمان السرّ كثيرة ليست محصورة في الحوائج أو في ستر شؤون وأسرار العباد ولكن هذه كأمثلة تطبيقية فحسب، لأن الكلام فيها سيكون في المبحث الموالي لهذا.

المطلب الثاني: النموذج القرآني لكتمان السرّ

آن الأوان أن أذكر بعض النّماذج القرآنية التي طُبِّق فيها كتمان السرّ والتي تجلّت في نموذجين اثنين قد وردا في سياق ذكر قصة سيدنا يوسف عليه السلام حين كتم أمر الرؤيا التي رآها بأمر من أبيه يعقوب عليه السلام وفي سياق ذكر قصة مؤمن آل فرعون الذي كتم إيمانه.

الفرع الأول: قصة كتمان يوسف عليه السلام للرؤيا التي رآها

من نماذج الكتمان التي وردت في القرآن الكريم ما جاء في ذكر قصة سيدنا يوسف عليه السلام حين كتم رؤياه بأمر من أبيه، حين أوصاه بأن يكتم أمرها عن أخوته حتى لا يثير حسدهم فيكيدوا له؛ ذلك لأنّها كانت مبشِّرة له بالنبوّة وبالمجد العظيم، قال ﷻ حكايةً عن هذه القصة: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف: 4-5]، فقد أمر يعقوب عليه السلام ابنه يوسف عليه السلام بأن يكتم خبر رؤياه عن أخوته حذر أن تثير حسدهم فيكيدون له كيدا ما لأنّهم كانوا أبناء علّات؛ أبوهم واحد وأمهاتهم شتى، وحتى يظهرها الله تعالى، ومن أمرُ يعقوب لابنه هاهنا يُعلِم أنّه على الإنسان أن يكتم حاجاته وخاصّة النِّعم منها لأنّها تثير الحاسد وتؤدي إلى زوال النعمة فلا يفشي الإنسان أموره ونعمه التي يمُنُّه الله بها لأحد حتى تكتمل وتظهر على أتم وجه، وجاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية ما هو موافق لما قلته هاهنا حين قال: "يقول تعالى مخبرًا عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قصَّ عليه ما رأى من هذه الرؤيا التي تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه تعظيمًا زائدًا، بحيث يخرُّون له ساجدين إجلالًا وإكرامًا، واحترامًا، فخشي يعقوب عليه السلام، أن يحدِّث بهذا المنام أحدًا من إخوته فيحسدوه على ذلك، فيبغوا له الغوائل، حسدًا منهم له؛ ولهذا قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾، أي: يحتالوا لك حيلة يردونك فيها[1] ثمّ استشهد على ذلك بمجموعة من الأحاديث النبوية وهي كالآتي:

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 371/4.

1 – عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الرؤيا الصالحة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتحول إلى جنبه الآخر وليتفل عن يساره ثلاثا، وليستعذ بالله من شرها، ولا يحدث بها أحدا، فإنها لن تضره**»[1].

2 – قال رسول الله ﷺ: «**الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبِّرت وقعت**»[2].

ثمّ قال معقبا عليها بهذه النتيجة: "ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر كما ورد في حديث"[3]: «**استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها، فإن كل ذي نعمة محسود**»"[4].

وهكذا على الإنسان أن يكتم جميع حوائجه كما أشار إليه الحديث النبوي وأمر به سيدنا يعقوب عليه السلام ابنه وليس فقط كتمان الحوائج والمقتضيات بل جميع الأمور التي يمكن أن تجعل عيون الحسد ومن لا يرجو الخير لغيره تتجّه إليه وتسعى لإفساد أموره وأذيته حتى تزول عنه النعمة والخير من جرّاءها عفانا الله وإياكم "فإنّ الحاسد إذا علم نجاح حاجة من يحسده سعى في عدم نجاحها، ولا ينافيه الأمر بالاستشارة فإنّه في ابتداء طلب الحاجة أو لأن المأمور بالكتمان منه من يظن أنه حاسد"[5].

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الرؤيا، رقم الحديث: 2261، 1772/4.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، مسند: المدنيين، رقم: 16182، 100/26، قال الألباني: (حديث صحيح)

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 371/4.

(4) تقدّم تخريجه في ص:98.

(5) التّنوير شرح الجامع الصّغير، الصنعاني، 327/2 (مكتبة دار السلام، الرياض، 1432هـ-2011م) ط:1، ت: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم.

الفرع الثاني: قصة مؤمن آل فرعون الذي كتم إيمانه

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: 28].

هذا نموذج آخر في فضيلة كتمان السرّ المختصّة بكتمان الإيمان، فإنّ مؤمن آل فرعون الذي كان أحد إشراف آل فرعون ومن قرابته[1] لما وقع الحق في قلبه فضّل الكتمان على إعلان إيمانه وذلك لحكمة هادفة منه، قال ابن عاشور: "كتم إيمانه وكان كتمه الإيمان متجددا مستمرا تقية من فرعون وقومه إذ علم أن إظهاره الإيمان يضرُّه ولا ينفع غيره"[2].

وعليه فكتمان الإيمان هنا، ليس عن ضعف أو خوف، حتى يحمل إيمانه على أنه كان مجرد إعجاب بموسى، وميل إلى الطريق الذي هو عليه، إذ لو كان غير منظور فيه إلى شيء آخر لآمن كإيمان السّحرة، ولما منعه بطش فرعون وجبروته أن يعلن هذا الإيمان متحدِّيا فرعون مستخِفّا بكل ما يلقى في سبيل الحق، والجهر به، ولكنّ لما كان إيمان هذا المؤمن إيماناً راسخا وثيقا، قائما على اقتناع بلغ مبلغ اليقين القاطع، كان كتمان هذا الإيمان عن سياسة حكيمة، وتدبير محكم، فالرجل لم يكن يريد الإيمان لنفسه وحسب، بل إنه كان يريد أن يكون داعية لفرعون وقومه جميعا إلى الإيمان بالله، ولو أنّه أعلن إيمانه، وجاء إلى فرعون يدعوه إلى أن يؤمن كما آمن هو، لما استمع فرعون إلى كلمة منه ولأخذته العزّة بالإثم وأبى عليه كبره وعناده أن ينقاد لداعية يدعوه إلى أي أمر، ثم ماذا لو أعلن الرجل المؤمن إيمانه ثم جاء إلى فرعون يدعوه إلى الإيمان؟ أكان شأنه معه إلاّ كشأن موسى وهارون؟ بل إنّ موسى وهارون معهما من آيات الله المعجزة القاهرة ما يؤيد دعوتهما بالحجج أمّا الرجل فلم يكن معه إلا منطق العقل، وحجة الكلمة اللّذان استعملهما حال كتمانه إيمانه وحال تدبيره أن يجلس إلى فرعون المجلس الذي اعتاده منه مجلس إبداء الرأي وعرض النصيحة في معرض تبادل الآراء، ومن هنا يكون للرجل أن يقول ما يشاء من آراء ويُبدى ما يجد لذلك من فرعون أذنا تسمع، وعقلا يعقل، وإنّه لا

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 128/24.

(2) المرجع نفسه، 128/24.

بأس على فرعون أن يأخذ بالرأي الذي يخلص به من بين تلك الآراء إنه حينئذ يكون هو الذي يعطى الرأي ولا يأخذه ويصدر الحكم ولا يتلقّاه، ومن هنا نجد الرجل المؤمن بهذا التدبير الحكيم (وهو كتمانه أمر إيمانه وإظهاره في موقعه ومحلِّه المناسب) قد استطاع أن يعرض قضية الإيمان بالله، في وضوح وجلاء وأن يدافع عن موسى وهارون في مقام ليس للبطش والظلم الاضطهاد فيه مجال[1].

(1) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، 12/1226-1227.

خاتمة

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبشكره تتنزل البركات وصلِّ اللّهم وسلِّم على سيدنا محمد خير خلق الله وعلى آله وصحبه رضوان الله عليهم واجمعنا معهم في يوم الميقات وبعد:

أعانني الله تعالى على إتمام هذا العمل المتواضع في وقته المحدد، والذي أتمنى أن أكون قد أوفيته حقّه من البحث والاستطلاع والعرض والتقديم والذي درست فيه: آداب وأحكام السرّ في القرآن الكريم (دراسة موضوعية) وبعد الخوض في هذا البحث وإتمامه توصلت إلى نتائج وهي كالآتي:

أهم النتائج:

1- للسرّ مفردات عديدة قريبة المعنى منه وتحلّ محله في مواضع من القرآن الكريم والتي تمثلت في: الإخفاء، الكتمان، النجوى، الغيب، الباطن، الإكنان، البيات، الخبء، ولكل من هذه المفردات فروق بينها وبين السرّ تدور حول العموم والخصوص، وفي ميدان الاستعمال أكان للمعاني أو للأعيان أو مجازي مستعار.

2- دلالات لفظة السرّ في القرآن الكريم تدور حول: السرّ بمعناه الحقيقي، معنى الإخفاء و الكتمان، معنى الإعلام والإخبار، ويطلق كذلك ويراد به النكاح، ويراد به أيضا معنى الإنفاق المتطوع به، ولكل معنى من هذه المعاني نظائر في القرآن الكريم.

3- سياقات لفظة السرّ في القرآن الكريم تمحورت في ثلاث سياقات وهي: سياق الأحكام الشرعية سياق مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم، سياق الآداب والتوجيهات التربوية.

4- أحكام السرّ في القرآن الكريم تمثلت في: أحكام صدقة السرّ، أحكام صدقة المناجاة أحكام خطبة المرأة المعتدة.

5- الآداب الشرعية للفظة السرّ في القرآن الكريم هي: آداب المعاشرة الزوجية، آداب كتمان السرّ، آداب التناجي العامة والخاصة.

8 – للسرّ في القرآن الكريم نماذج حية يستقي منها المسلم قيمه وأهمية هذه السِمة الخلقية سواء أكانت في السرّ في حدّ ذاته أو فيما يتعلق به من أحكام و آداب، فيعلم ضرورة العلم به والتعرف عليه في ضوء قرآننا الكريم.

أهم التوصيات:

1 – أوصي الطلبة والطالبات في العلوم الشرعية أن يجعلوا التفسير الموضوعي نصب أعينهم أثناء اختيار أعمالهم الأكاديمية، لأن التفسير الموضوعي مازال البحث في مواضيعه وألفاظه المتعلقة بالقرآن الكريم مفتوحا ويحتاج منا إلى استقصاء وبحث دقيق في القرآن على المواضيع التي لم تدرس بعد.

2 – هذا الموضوع لازالت مواضيعه متشعبة ومتفرقة لذلك اقترحت بعض المواضيع المتعلقة بلفظة السّر عسى أن تحظى بالدراسة والبحث وهي:

–السّر في ضوء السنة النبوية.

–الأحكام الفقهية المتعلقة بالإسرار في القرآن الكريم.

وفي الأخير أسأل المولى تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به كل المسلمين، وما كان من توفيق فمن الله تعالى، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، وصلِّ اللهم وسلم على محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الفهارس العامة

أولا: فهرس الآيات القرآنية

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثا: فهرس الآثار

رابعا: فهرس الأعلام المترجم لهم

خامسا: قائمة المصادر والمراجع

سادسا: فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾	البقرة	02	13
﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ ﴾		33	19
﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا ﴾		69	04
﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا ﴾		77	36/27/23/03
﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا ﴾		119	66
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً ﴾		140	18
﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ ﴾		146	18
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ﴾		159	92
﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ ﴾		234	48
﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم ﴾		235	48/29/04
﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ﴾		236	50
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ ﴾		264	58
﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ ﴾		270	57
﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا ﴾		271	/59/57/22 69/67
﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ﴾		272	58

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم ﴾		274	/64/59/46/04 70/68
﴿ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾		275	60
﴿ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ﴾		283	98
﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ ﴾	النساء	34	99/25
﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ﴾		37	18
﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ﴾		42	18
﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ ﴾		82–81	34/26
﴿ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾		108	34
﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾		143–142	76
﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ﴾	الأنعام	03	36/04
﴿ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾		27	38
﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾		120	32
﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ ﴾		151	33
﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ﴾	الأعراف	33	33
﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾		55	21
﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ ﴾	التوبة	[79–78]	77/24/17/04
﴿ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ ﴾		94	23
﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ﴾		105	23

﴿ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ﴾	يونس	20	24
﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ﴾		54	38/11-07-02
﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾	هود	04	03
﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي ﴾	يوسف	[05-04]	99
﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗ ﴾		19	40/03
﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ ﴾		77	03
﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ ﴾	الرعد	10	40/29/03
﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾		19	61
﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾		22	62/61/46/04
﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ﴾		23	62
﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ﴾	إبراهيم	31	63/46/05
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾		[30-28]	63
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾		32	64
﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ ﴾	النحل	19	03
﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ ﴾		23	04
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا ﴾		85	05
﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ ﴾	الإسراء	34	97
﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾	مريم	[3-2]	21/20
﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ﴾	طه	07	/21/10/04 36/29/22

﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ﴾		62	40/02
﴿ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ﴾	الأنبياء	03	40/03
﴿ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ ﴾		49	25
﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ ﴾	المؤمنون	08	98
﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ ﴾		92	24
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ﴾	النور	19	92
﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ ﴾	الفرقان	06	04
﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	النمل	25	61/30
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ ﴾		74	31/29
﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾		75	25
﴿ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ ﴾	القصص	69	28
﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾	السجدة	06	24
﴿ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾	الأحزاب	32	54
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ﴾		49	51
﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ﴾	سبأ	33	37/03
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ ﴾	فاطر	28	65
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾		29	65/46/05
﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾		31	66

﴿ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا ﴾	يس	76	36/04
﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴾	الصافات	49	28
﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾		65	60
﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ ﴾	الزمر	46	24
﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ﴾	غافر	28	101
﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ ﴾	الزخرف	80	17-04
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ ﴾	محمد	26	40/10/05
﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا ﴾	الحجرات	12	23
﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ ﴾		14	14
﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ بِهِۦ ﴾	ق	16	10
﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾		33	25
﴿ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ ﴾	الطور	24	28
﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ ﴾	الحديد	03	33
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا ﴾	المجادلة	5	92
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾		[10-8]	91/72
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ﴾		[13-12]	91
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ ﴾		14	92/76
﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾	الحشر	22	24

﴿ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ ﴾	الممتحنة	01	44/20/07/03
﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ ﴾		08	69
﴿ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم	الجمعة	08	24
﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	التغابن	04	45/10/03
﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ﴾		18	24
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ﴾	التحريم	[2-1]	81
﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ ﴾		03	44/03
﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ ﴾		[5-4]	81/26
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ ﴾		06	82
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ ﴾	الملك	12	25
﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ ﴾		13	40/04/03
﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ ﴾	نوح	09	05/03
﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾	الإنسان	08	69
﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ ﴾	الأعلى	07	20

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
«إذا حدّث الرجل ..»	09
«إذا كان ثلاثة فلا يتناجى.. »	79
«إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى.. »	79
«استعينوا على إنجاح الحوائج.. »	100-98
«أغنوهم في هذا اليوم..»	69
«الرؤيا الصالح من الله..»	100
«إنك ستأتي قوما أهل كتاب..»	69
«خير الذكر الخفي»	21
«سبعة يظلهم الله ..»	70
«صدقة السرّ تطفئ ..»	70
«لا يخلون أحدكم بامرأة ..»	42
«من احتبس فرسا في سبيل ..»	60
«ورجل تصدق بصدقة...»	67
الرؤيا على رجل طائر ...»	100

فهرس الآثار

طرف الأثر	الصفحة
{دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم }	74
{ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش}	83

فهرس الأعـلام

العلـم	الصفحة
ابن فارس	06
أبو عبيدة	07
أبو عمرو شِمر	39
أبو منصور الأزهري	39
امرؤ القيس	37
الجوهري	07
الراغب الأصفهاني	09
رؤبة بن عجاج	08
الفرزق	38

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

ثانيا: الكتب

- أحكام القرآن، أبو بكر الرازي الجصاص (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1412هـ-1992م) لا.ط، ت: محمد صادق القمحاوي.

- أحكام القرآن، محمد بن إدريس الشافعي، (مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت) لا.ط، ت: محمد زاهر بن الحسن الكوثري.

- أحكام القرآن،أبو بكر ابن العربي، (دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1424هـ-2003م) ط:3، ت: محمد عبد القادر عطا.

- إرشاد العقل السليم على مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.) لا.ط.

- أسباب نزول القرآن، علي بن محمد بن علي الواحدي، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ-1991م) ط:1، ت: كمال بسيوني زغلول.

- إعراب القران الكريم وبيانه، محي الدين درويش، (دار اليمامة-دار ابن كثير، دمشق-بيروت، دار الإرشاد، حمص-سورية ،1412هـ-1992م) ط:3.

- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمان حبنكة الميداني، (دار القلم، دمشق، 1420هـ-1999م) ط:5.

- الأساس في التفسير، سعيد حوّى، (دار السلام، القاهرة، 1424هـ) ط:6.

- الأعلام، خير الدين الزركلي، (دار العلم للملايين، بيروت، 2002م) ط:15.

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي، (دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1413هـ-1993م) ط:1، ت: عادل أحمد، علي معوض.

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، لا.م، 1376هـ-1957م)ط:1، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

- التبيان في تفسير غريب القرآن، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1423هـ) ط:1، ت: ضاحي عبد الباقي محمد.

- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ) لا.ط، د.ت.

- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي ، (شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت 1416هـ) ط:1، ت: عبد الله الخالدي.

- التعريفات، الجرجاني، (دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1403هـ-1983م) ط:1، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر.

- التفسير البسيط، محمد بن علي الواحدي، (عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لا.م، 1430هـ) ط:1.

- التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، دروزة محمد عزة، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1421هـ-2000م) ط:2.

- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، (دار الفكر العربي، القاهرة، 1390هـ-1970م) ط:1.

- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، (دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ) ط:2.

- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، (جامعة الشارقة، لا.م، 1431هـ-2010م) ط:1.

- التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، (دار الجيل الجديد، بيروت، 1413هـ) ط:10.

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (مطبعة المصحف الشريف، لا.م، 1413هـ- 1992م) ط:3.

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (دار نهضة، مصر-الفجالة-القاهرة، 1997م) ط:1.

- التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، (دار الفكر، دمشق، 1422هـ) ط:1.

- التفسير-المستوى الثاني- عبد البديع أبو هاشم، (مكتبة الأكاديمية-مكتبة دروس الأكاديمية، لا.م، د.ت) لا.ط.

- التّنوير شرح الجامع الصّغير، محمد بن اسماعيل بن صلاح الصنعاني، (مكتبة دار السلام، الرياض، 1432هـ-2011م) ط:1، ت: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم.

- التوقيف على مهمّات التعاريف، زيد الدين المناوي، (عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت، القاهرة، 1410هـ-1990م) ط:1.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن البخاري (دار طوق النجاة، لا.م، 1422هـ) ط:1، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر.

- الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، (مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1427هـ-2006م) ط:1، ت: عبد الله بن محسن التركي.

- الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن الراغب الأصفهانى، (دار الكتب العلمية، لا.م، 1400هـ-1980م) ط:1.

- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، (دار الحديث، القاهرة، 1423هـ) لا.ط، ت:أحمد محمد شاكر.

- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد ابن فارس، (محمد علي بيضون، لا.م، 1418هـ-1997م) ط:1.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ-1987م) ط:4، ت: أحمد عبد الغفور عطار.

- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (دار العلم والثقافة، القاهرة-مصر، د.ت) لا.ط، ت: محمد إبراهيم سليم.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ) ط:3.

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت) لا.ط، ت: عدنان درويش- محمد المصري.

- اللّباب في علوم الكتاب، علي بن عادل الحنبلي، (دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1419هـ-1998م) ط:1، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض.

- المجتبى من السنن "السنن الصغرى للنسائي"، النسائي أبو عبد الرحمان، (مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ-1986م) ط:2، ت: عبد الفتاح أبو غدة.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد ابن عطية الأندلسي المحاربي، (دار الكتب العلمية-بيروت، 1422هـ) ط:1، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد.

- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، (دار ابن الجوزي، الدمام- المملكة العربية السعودية، 1427هـ-2006م) ط:1.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت) لا.ط ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، (مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت) ط:2 ، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

- المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الفكر للطباعة والنشر لا.م، 1412هـ-1992م) ط:3.

- المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى، (مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، 1425هـ-2004م) ط:4.

- المهذب في علم أصول الفقه المقارن، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، (مكتبة الرشد، الرياض، 1420هـ-1999م) ط:1.

- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، عبد الله الحسين بن محمد الدّامغاني، (دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت) لا.ط، ت: عربي عبد الحميد علي.

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، (دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1415هـ-1994م). ط:1،

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، (دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1406هـ-1982م) ط:1، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ) ط:1، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي.

- أوضح التفاسير، محمد بن الخطيب، (المطبعة المصرية ومكتبتها، مصر، 1383هـ 1964م) ط:6.

- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، 1424هـ-2003م) ط:5.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادى، (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ- 1996م) ط:3، ت: محمد علي النجار.

- بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، جلال الدين السيوطي، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، لا.م، 1384هـ-1964م) ط:1، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم

- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، (مطبعة حكومة الكويت-الكويت، 1393 هـ-1973م) ط:2، ت: مصطفى الحجازي.

- تفسير ابن عثيمين، محمد الصالح ابن عثيمين، (دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1421هـ) ط:1.

- تفسير القرآن العظيم،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية-الرياض،1420هـ 1999م.) ط:2، ت:سامي بن محمد سلامة.

- تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان، محمد أمين الشنقيطي، (دار الفضيلة، الرياض، دار الهدي النّبوي، مصر-المنصورة، 1426هـ-2005م) ط:1، إعداد:سيّد محمد ساداتي الشنقيطي.

- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، 1365هـ-1946م) ط:1.

- تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس، (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، لا.م، 2002م) لا.ط، ت: ناجي سويدان

- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري، (دار طوق النجاة، بيروت-لبنان، 1421هـ-2001م) ط:1، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي.

- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م) ط:1، ت: محمد عوض مرعب.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان السعدي، (مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1420هـ 2000م) ط:1، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، (مؤسسة الرسالة، لا.م، 1420هـ-2000م) ط:1، ت: أحمد محمد شاكر.

- جواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمان الثعالبي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1418هـ-1997م) ط:1، ت: محمد علي عوض، عادل أحمد عبد الموجود.

- دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ، شحاتة محمد صقر، (دار الفرقان للتراث، البحيرة، د.ت) لا.ط.

- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، (مكتبة الآداب، الجماميز، المطبعة النموذجية، د.ت) لا.ط، ت: محمد حسين.

- ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس، (دار المعرفة، بيروت، 1425هـ-2004م) ط:2، ت: عبد الرحمن المصطاوي.

- ديوان رؤبة بن العجاج، (دار ابن قتيبة، الكويت، د.ت) لا.ط، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليد بن الورد البروسي.

- روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، (مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، 1400هـ-1980م) ط:3، ت: حسن عباس الشربتلي.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء شهاب الدين الآلوسي (دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ) ط:1، ت: علي عبد الباري عطية.

- سنن الترمذي، محمد بن سؤرة التّرْمذِي أبو عيسى، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ-1975م) ط:2، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون.

- سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، (مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1424هـ-2004م) ط:1، ت: شعيب الارنؤوط وآخرون.

- صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)، محمد بن ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق، 1408هـ-1988م) ط:3.

- غريب الحديث، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، (مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ) ط:1، ت: عبد الله الجبوري.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (دار المعرفة، بيروت 1379هـ) لا.ط، ت: عبد العزيز بن عبد الله بن باز وآخرون.

- فتح الرحمن في تفسير القرآن، أبو اليُمن العُليمي، (دار النوادر، لا.م، 1430هـ-2009م) ط:1، ت: نور الدين طالب.

- فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، (دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1428هـ-2007م) ط:4، اعتنى به وراجعه يوسف الغوش.

- في ظلال القرآن، سيد قطب، (دار الشروق، القاهرة، 1972م) ط:1.

- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، 1422هـ-2002م) ط:1.

- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (دار صادر، بيروت 1414هـ) ط:3.

- مجاز القرآن، معمر بن مثنى أبو عبيدة، (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ) ط:1،ت: محمد فواد سزگين.

- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، (دار الكتب العلميه، بيروت، 1418هـ) ط:1،ت: محمد باسل عيون السود.

- مختار الصحاح، زيد الدين الرازي، (المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت-صيدا، 1420هـ- 1999م)ط:5، ت: يوسف الشيخ محمد.

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، (دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ-1998م) ط:1، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ- 2001 م) ط:1، ت:شعيب الأرنؤوط وآخرون.

- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، (عالم الكتب، بيروت، 1408هـ- 1988م) ط:1، ت: عبد الجليل عبده شلبي.

- معاني القرآن، أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله الفراء، (دار المصرية، مصر، د.ت.) ط:1، ت: أحمد يوسف النجاتي وآخرون.

- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس، (جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ) ط:1، ت: محمد علي الصابوني.

- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، (دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1408هـ-1988م) ط:1

- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ-1993م) ط:1، ت: إحسان عباس.

- معجم الشعراء الجاهليين، عزيزة فوال بابتي، (دار صادر، بيروت-لبنان، 1998م) ط:1.

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد ابن فارس، (دار الفكر، لا.م، 1399هـ- 1979م) لا.ط، ت: عبد السلام محمد هارون.

- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.) ط:3.

– مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، (دار الفكر، بيروت–لبنان، 1429هـ، 1430هـ–2009م) لا.ط ت: يوسف الشيخ محمد البقاعي.

– معجم المفسرين (من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر)، عادل نويهض، (مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت–لبنان، 1409هـ– 1988م) ط:.2.

– نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح بن عبد الله بن حميد، (دار الوسيلة، جدة، د.ت.) ط:4.

– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، (دار الكتاب الإسلامي، 1404هـ–1984م) لا.ط.

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان ابن خلكان (دار صادر، بيروت، 1972م) لا.ط، ت: إحسان عباس.

ثالثا: الرسائل الجامعية

– الجملة الاستئنافية في القرآن الكريم دراسة تحليلية لغوية، لطفي عواد الأسعد، رسالة ماجستير في اللغة العربية (تخصص لغة ونحو) في كلية الآداب والعلوم في جامعة آل البيت، نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ: 1997/7/15.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	ب
الفصل الأول: الدراسة المصطلحية لكلمة السرّ في القرآن الكريم	
المبحث الأول: معاني السرّ في اللغة والاصطلاح	02
المطلب الأول: اشتقاقات وتصريفات لفظة السرّ في القرآن الكريم	02
المطلب الثاني: معني السرّ في اللغة والاصطلاح	06
المبحث الثاني: المعاني المُرادفة أو القريبة من كلمة السرّ في القرآن الكريم	13
المطلب الأول: النّجوى والكتمان	15
المطلب الثاني: الإخفاء والغيب	20
المطلب الثالث: الإكنان والخبء	28
المطلب الرابع: الباطن والبيات	32
المبحث الثّالث: الوجوه والنظائر لكلمة السرّ	36
المطلب الأوّل: السرّ بمعناه الحقيقي	36
المطلب الثاني: السرّ بمعنى الإخفاء والكتمان	37
المطلب الثّالث: السرّ بمعنى النكاح	41

المطلب الرابع: السرّ بمعنى الإفضاء والإخبار	44
المطلب الخامس: الإنفاق المتطوع به	46
الفصل الثاني: السياقات التي ورد فيها السرّ في القرآن الكريم	
المبحث الأوّل: ورود كلمة السرّ في سياق ذكر الأحكام الشرعية	48
المطلب الأوّل: ورود كلمة السرّ في سياق خطبة المعتدّة	48
المطلب الثّاني: ورود كلمة السرّ في سياق صدقة التّطوّع	57
المطلب الثّالث: ورود السرّ في سياق ذكر أحكام التناجي	72
المبحث الثاني: السرّ في سياق مخاطبة النبيّ ﷺ	81
المطلب الأوّل: ورود كلمة السرّ في سياق مخاطبة النبي ﷺ الأسرية	81
المطلب الثاني: ورود كلمة السرّ في سياق نجوى الرسول ﷺ	91
المبحث الثّالث: ورود كلمة السرّ في سياق الآداب	97
المطلب الأوّل: أدب كتمان السرّ في القرآن الكريم	97
المطلب الثاني: النموذج القرآني لكتمان السّر	99
الخاتمة	104
فهرس الآيات القرآنية	107
فهرس الأحاديث	113
فهرس الآثار	114

فهرس الأعلام المترجم لهم	115
قائمة المصادر والمراجع	116
فهرس الموضوعات	125

تم بحمد الله